

بسم الله الرحمن الرحيم
 شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
 هدى للناس وبينات من ربهم
 والفرقان فمن شهر منكم الشهر فليصمه

التمن :

٥. فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥. فلسا	الأردن
١٠ غروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعدن
٥. قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليما	مصر والسودان

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٧

غرة رمضان ١٣٩٤ هـ

سبتمبر ١٩٧٤ م

سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
 الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
 والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشنون الإسلامية
 بالكويت في غرة كل شهر عربي
 الاشتراك السنوي للهيئات فقط

أما الأفراد فاشتراكهم رأسا

مع متمعن التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي — وزارة الأوقاف والشنون الإسلامية
 صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

الصيام والقرآن

يطل علينا شهر رمضان بهلاله الممسون ، وبظلنا بأيامه الكريمة وليلياته المباركة ، ويخلق بنا في سماءات الطاعة وروضات العبادة ، ويجعلنا أهلاً للقبوضات الإلهية والنفحات القدسية وموضعا لنظر الله ورضوان الله .
في هذا الشهر العظيم تتزين السماء وتنزل الملائكة وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتحجب الشياطين ، وينجلي الله على عباده الصائمين القائمين فيغفر لهم ، ويستجيب دعاءهم ، ويوفيهم أجورهم بغير حساب .
وفي هذا الجو الروحي الطهور تزكو النفوس وتطهر القلوب ، وتصفو التوايا ويصدق العزم ، تنصفر الدنيا وتعظم الآخرة ، ويحلو كل ما يقرب من الله ، ويكره كل ما يباعد عن الله ، وتانسى المشاعر والجوارح بالموافقة لكل ما يرضى الله ، وتنفر وتفر من كل ما يفضى الله ، ويبلغ الصائم القائم مقام الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ويتصرف في دنياه كأنه يراه . . يتقن كل عمل ، ويحسن كل تصرف ، ويراقب الله في كل سلوك ، ويقوم بأمره في سنون الحياة كافة .

الإحسان مراقبة ومساهمة ، والرقابة الإلهية لا تتناول عملاً وتدع آخر ، بل تتناول الأعمال كلها من الصلاة التي يقف فيها المسلم خائسعا بين يدي الله إلى الحرفة والمهنة التي يباشرها قياما بواجبه في الحياة . . الإحسان الذي يبلغه العبد بالصيام والقيام وتلاوة القرآن رغب الدائرة يشمل الأعمال والأحوال كلها : (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) .



إن الله عز وجل شرف هذا الشهر وميزه بأمرين فرض الصيام وأنزل القرآن فيه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .
وقد اقتضت الحكمة العالية أن يكون هذا الاقتران والارتباط بين الصيام والقرآن فالصيام أعداد وتهينة للنفس لتلاوة القرآن وتدبير معانيه ، والصيام رياضة وترويض للفرائر الانسانية على الخضوع والانقياد لما أنزل الله ، وبالصيام تطمئن النفس إلى الحق وترقى إلى أفقها الروحي وتستمد لتلقى الفيض الإلهي من كلام الله .

وهذا موسى عليه السلام قبل ان يتلقى كلمات ربه واعد الله ثلاثين ليلة واضاف اليها عشرين فبلغت عدتها اربعين ليلة يروض فيها موسى نفسه بالصوم حتى تصفو روحه وتقوى على تلقي كلمات ربه .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وانتمناها بفقرى فتم ميفات ربه اربعين ليلة) قال المفسرون : فصامها موسى عليه السلام وطواها ، فلما تم الميفات ثلاثين ليلة اسناك بلحاء شجرة - بقي شيء من سلطان النفس وحكم الهوى عليه - فامر الله ان يكمل اربعين .

إن الصوم يملأ النفوس روحانية وابداعا ، وينشئ على القلوب بهجة وسناء ويطلع على العقل شفاقة علوية ترفعه من حضيض الحيوانية المادية الى مستوى الملائكية والروحانية ، فيكون أهلا لمجالسة الحق ومناجاة بتلاوة كلامه ومدارسة قرآنه .

إن سيد الصائمين محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعني بمدارسة القرآن في رمضان ، وكان جبريل عليه السلام ينزل عليه كل ليلة منه فيدارسه القرآن : يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يقرأ جبريل ويسمع محمد . روى الإمام البخاري ومسلم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكان السلف الصالح يعتمدون على العصى من طول القراءة في صلاة التراويح ، وما كانوا يصرفون إلا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في عشر ، وكانوا زمن السابيعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها في اثنتي عشرة ركعة من التخفيف ، وكان الأبي حنيفة والشافعي يمتنون ختمة في رمضان ، وكان مالك إذا دخل رمضان يفرغ لقراءة القرآن .

إن هذا الشهر الكريم يسدنا الى كتاب الله الضال الذي لا ريب فيه . المبارك القيم الذي لا عوج فيه . العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . الثاني الذي تتسرع منه جلود الذين يحسنون ربهم . يسدنا اليه حفظا وتلاوة ، وفهما وعملا ، والصوم خير وسيلة تقربنا من الله ، ونرطب السنتنا بكلامه ، وتمنحنا عفوه ويحقق لنا رضاه .



إننا نعيش في عصر كل ما فيه جديد كل الجدة في حياة البشرية المادية ، وقد حقق الإنسان في هذا القرن من التقدم العلمي والتطور المادي ما لم يحققه في القرون السابقة ، وحسبه أنه انتقل من الأرض الى السماء ، ولكنه بجانب هذا أخفق إخفاقا كبيرا في مجال القيم الإنسانية ، وكل ما أحرزه من تقدم لم يردده إلا ضارورة وحيوانية ، ومعنى هذا أن جميع النظم والقوانين والمناهج التي وضعت لتربية الإنسان وإصلاحه فشلت فشلا ذريعا ومن أجل هذا تنادي المصلحون لإعادة بناء الإنسان من جديد ، والمناهج الوحيدة لإصلاح النفس الإنسانية هو منهج الله المتمثل في كتابه وسنة رسوله ، والوسائل للانتصار على النفس والنسamy بها هي طاعة الله وعبادة الله وفي مقدمتها الصوم ، ثم أصاغتتها وتخيرتها بالقرآن الكريم (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) و (الصوم حنة) .

رضوان البيلي

دراسات في القصص القرآني :

المرأة ومكانها في

١ - للمرأة مكانها في الحياة مع الرجل .. ونشاطها الانساني في الحياة مكمل لنشاط الرجل ، ولا يختلف عن نشاطه الا بالقدر الذي يختلف فيه تكوينهما العضوي وما ينشأ عن هذا الاختلاف من وجود استعدادات خاصة في كل منهما تجعله أقدر على القيام ببعض الوظائف من صاحبه ، واكثر استعدادا له منها ..

فالمرأة والرجل هما الانسان ، كل منهما ذهب بأحد شطريه .. فهما متماثلان ، ومتغايران في وقت معا .. وبهذه النظرة ، ينظر القرآن الكريم الى المرأة في تشريعاته واحكامه ، وفي أوامره وزواجره ، وفي تعاليمه ووصاياه ، وفي حسابيه وجزائه .. فهو يسوى بينهما حين يكون الحكم متعلقا بشأن انساني ، يقوم على اصل الفطرة المركوزة في الانسان .. ثم هو يفرق بينهما حين يكون الامر شأنا خاصا بالرجل ، أو أمرا منوطا بالمرأة .

٢ - وفي القصص القرآني ، يبرز وجه المرأة كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص ، حيث تأخذ المرأة مكانها فيه كإنسان وكأمراة معا .. فهي كإنسان لها دورها الذي تشارك به في صنع الاحداث ، وفي دفع مسيرة الحياة الانسانية ، وما يتطلبه ذلك من نشاط مادي ، وعقلي .. وهي كأمثى لها دورها في القيام على وظيفة الامومة ، ورعاية الاطفال ، والسهر على راحتهم ، واعدادهم للحياة اعدادا جسديا ، وعقليا ، وخلقيا ..

القصص القرآني

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

فهى انسان ، عاقل رشيد ، يزن الامور بعقله ، ويتعرف على مواقع الخير ببصيرته ، ثم الى جانب هذا العقل ، وهذه البصيرة ، ارادة قاطعة ، ورأى جميع ، يقهر الحدود ويحطم القيود ، ليعبر عن مشيئته وارادته على الوجه الذى شاء واراد .. ولهذا كانت المرأة مناطا للتكليف ، واهلا للثواب والعقاب ، شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وفى مخاطبات القرآن الكريم للانسان بقوله تعالى : (ياايها الانسان) خطاب للرجل والمرأة معا .. مثل قوله تعالى : (ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) (٦ الانشقاق) .

ومثل قوله جل شأنه : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .. انه كان ظلوما جهولا) (٧٢ الاحزاب) .

ومثل مخاطبات القرآن الكريم للانسان ، مرادا به الرجل والمرأة ، مخاطباته للناس ، كقوله تعالى : (ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) (١ النساء) — وكقوله سبحانه : (ياايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) (٣٣ لقمان) .

وهكذا تجىء مخاطبات الحق سبحانه وتعالى للرجال والنساء

خطابا عاما للانسان ، وللناس حيث الانسان ذكر أو أنثى ، وحيث
الناس ذكور أو إناث ..

هذا ، وقد تجيء مخاطبات الله سبحانه وتعالى للرجال والنساء
مفصلة ، بمعنى أن يذكر الذكور ، وفي مقابلهم الإناث ، وفي هذا ما
يجمل التوازن قائما بينهما فيما تقرر الشريعة لهما من حقوق ،
وما تفرض عليهما من واجبات ، كما يقول سبحانه : (أن المسلمين
والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين
والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ،
والتصدقين والتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين
فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم
مغفرة وأجرا عظيما) . وكتوله سبحانه : (فاستجاب لهم ربهم أني
لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض) .

٣ - وكما أن في الرجال الأخيار والأشرار ، والعقلاء والسفهاء ،
فكذلك في النساء الخيرات والشريرات ، والعاقلات والسفهيات ..
أنهم جميعا ثمر شجرة واحدة ، وكما يكون في ثمر الشجرة السليم
والمعطوب ، والجيد والردىء ، فكذلك كانت شجرة الإنسانية ،
وما تعطى من ثمر ، بعضه صالح وبعضه فاسد ، وبعضه جيد ،
وبعضه ردىء .. (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (٣٥ الأنعام) .
وفي القصص القرآني نماذج متعددة للمرأة في مستوياتها
المختلفة ، في علوها واسفافها ، وفي رشدها وغياها ، وفي هداها
وضلالها .. شأنها في هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وتحت سقف البيت الواحد ، يعرض القصص القرآني
الزوجين ، المرأة والرجل ، وكل منهما قد أخذ طريقا غير طريق
صاحبه ، فتارة يكون الرجل غويا ضالا ، غارقا في الضلال ، على
حين أن امرأته تكون على رشد وهدى ، وعلى إيمان وتقوى ، كما
ذكر القرآن الكريم ذلك عن امرأة فرعون التي كانت في صحبة هذا
الانسان الذي أعماه الفرور ، فكفر بأنعم الله ، ثم تمادى في كفره
وطغيانه حتى ادعى الألوهية لنفسه ، وأبى على من تحت سلطانه
الا أن يتخذوه الها يعبد من دون الله ، وقد استجابوا له ، واتبعوا
ضلاله وهواه ، كما يقول سبحانه : (فاستخف قومه فاطاعوه ، أنهم
كانوا قوما فاسقين) ..

ومع هذا الجو المكهر ، وفى وسط هذا الظلام الكثيف ، فان شعاعا من نور قد ظل مضيفا فى قلب امرأة فرعون ، فابصرت طريقها الى الحق ، ووجهت وجهها الى الخالق المعبود ، رب السموات والارض وما فيهن ، وخرجت من سلطان فرعون ، وحررت ضميرها من تسلطه على ايمانها بالله رب العالمين ، فكان لها عند الله تعالى هذا الذكر العظيم فى القرآن الكريم ، يرى فيه المؤمنون المثل الصادق للمعتل الرشيد ، والارادة القوية ، والعزيمة الماضية فى امرأة يرجع ميزانها اعداد الحصا من الرجال الذين زهدوا فى عقولهم ، واتبعوا أهواءهم ، فيقول جل شأنه : (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين) (١١ : التحريم) وقد استجاب الله تعالى لها دعائها ، وأعد لها بيتا فى الجنة .. فهنيئا لهما ما اعطاها ربها من كريم فضله وعظيم إحسانه ..

وعلى عكس هذا ، نجد المرأة التى تلج فى الضلال والعناد ، وتأبى أن تفتح عينها لأنوار الحق التى تتلأل فى البيت الذى يضمها مع زوجها ، فتركب رأسها ، وتأخذ طريقها مع الفؤاة الضالين ، وترد معهم موارد الهالكين .

فهذه امرأة نوح عليه السلام ، تتأبى عليه أن تستجيب لدعوة الحق التى يدعو بها ، وتصرف فى عناد لئيم ألا تنصر دعوته ، وألا تكون فى جبهة الايمان مع المؤمنين الذين استجابوا له .. ومثل امرأة نوح امرأة لوط التى أبنت أن تأخذ مكانها مع هذا النبى الكريم ، وأن تقفو أثره وتتبع خطوه ، وتكون دعوة من دعوات الحق والخير التى يدعو اليها ..

وقد عجل الله تعالى للمرأتين العقاب فى الدنيا ، وأعد لهما العذاب الاليم فى نار جهنم فى الآخرة .. فيقول سبحانه عن امرأة نوح وامرأة لوط ، وقد ضربهما الله تعالى مثلا للكفر والضلال ، وما يلقى الكافرون والضالون : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .

انهما امرأتان فى بيت النبوة ، كل واحدة منهما امرأة نبى ، تملأ بيته أنوار السماء ، وتفقد وتروح فيه ملائكة الرحمن ، وهى تشهد هذا وتحضره ، ثم هى مع هذا تأبى إلا جماحا ونفارا عن الحق والخير ، والا امعانا واصراراً على الضلال والكفر ..
{ — وهذا موقف تبدو فيه المرأة ، وكأنها خارجة على طبيعتها منحرفة عما ينبغى أن يكون منها من القيام وراء زوجها تشدد أثره ،

وتأخذ بناصره ، وخاصة اذا كان بالمكان الذى يدعو فيه الى الخير ،
ويبشر بالرحمة والمودة ، ثم لا يجد من الناس الا نفورا منه ،
واستخفافا به ، وعدوانا عليه ، انها ان لم تنتصر له فى تلك الحال
لشخصه وللحق الذى يدعو اليه ، فلتنتصر له فى شخص رجلها وأبى
ابنائها .. فان لم يكن منها هذا أو ذاك ، فلتعطفها عاطفة الرحمة من
الضعيف الى الضعيف ، فالمرأة بطبعها ضعيفة تكره التسلط، والبغى،
يتربى فى حجرها الانسان فى أضعف احواله ، فتغذوه بحضائها ،
وتكسوه برحمتها وعطفها ، وتسهر عليه بقلبيها وعقلها .. والنبي
الكريم ، الذى سكن اليها وسكنت اليه فى حال قد اجمعت عليه فيها
قوى الشر والبغى ، تنوشه بالسنتها ، وترميه بالحقد والشئان من
أعينها ، وتلقاه بالوان الضر والأذى فى كل موقف يقفه وكل سبيل
يسلكه .. وتلك حال من شأن المرأة فيها أن تكون أرق قلبا والين
جانبا من الرجال ..

وعلى أى فلا بد أن تقيم الحياة فى المجتمع الانسانى شواهد
للمنحرفين من الرجال والنساء على السواء ..
فأمرأة نوح وامرأة لوط مثلان للشواذ المنحرفات من النساء ..
فاذا كان فى النساء - وهذا فى الكثير الغالب - من يكن مع رجالهن
أينما كانوا ، فان فيهن هذا الصنف المشاكس المخالف الذى لا يرضى
أن يعيش فى غير الخلاف والمشاكسة .. واذا كان كثير من النساء قد
أبى عليهن عقلهن ورشدهن أن ينسقن فى طريق السفه والضلال
الذى ركبته أزواجهن ، فان كثيرا منهن أيضا قد التقين مع أزواجهن على
الباطل ، وتقاسمن معهم الشر الذى يفرسونه فى منابت الخير ..
وفى امرأة أبى لهب المثل لهذا ، فقد كان لها فى القرآن الكريم مع
زوجها أسوا المثل للشر يجتمع الى الشر ، والسفه يتآخى مع السفه
.. فيقول سبحانه وتعالى : (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه
ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وأمراته حمالة الحطب ،
فى جيدها حبل من مسد) (سورة المسد) .

هـ - ثم اننا نجد فى القصص القرآنى المرأة (الأنثى) تستجيب
لطبيعتها فى طلب الزوج ، وفتح منافذ وصوله اليها ، فى تلطف
ومداراة ، من غير أن يخدش حياؤها ، أو تجرح كبريائها ، فتبدو
مطلوبة وهى طالبة وتظهر متمنعة وهى راضية .. وهذا ما يقصه
علينا القرآن الكريم عن ابنة النبي الكريم شعيب عليه السلام ، مع
موسى عليه السلام حيث يقول سبحانه : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه

أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهما امرأتين تزدودان ، قال
ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقي ، حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير . .
فيسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال رب انى لما أنزلت إلى من خير
فقير (٢٣ و ٢٤ القصص) .

فالمرأتان اللتان تزدودان عنهما ، هما ابنتا شعيب عليه السلام ،
وقد سقى لهما موسى ، دون أن يعلم من أبوهما . . (فجاءته
احداهما تمشى على استحياء ، قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما
سقيت لنا) (٢٥ : القصص) لقد أرسل شعيب إحدى ابنتيه لتدعو
هذا الطائر الغريب الذى سقى لهما ، ليكون فى ضيافته يوما ، أو
بضعة أيام . . (فجاءته احداهما تمشى على استحياء . .) لقد
تجسد الحياء حتى وكأنه بساط تمشى عليه . . أنها لا تمشى على
الأرض ولكنها تمشى على حياء ، تتعثر فيه خطاها ويضطرب كيائها
. . فإذا وصلت إلى حيث يجلس موسى ، خاطبته فى خفر ، وعفة
وحياء قائلة : (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) .

ويستجيب موسى لهذه الدعوة الكريمة ، ويمشى بين يدي تلك
الابنة التى حملت إليه دعوة أبيها ، حتى يلتقى بشعيب ، ويأنس
إليه ، ويعرف كل منهما صاحبه ، ويعلم شعيب سبب مجيء موسى
فارا من مصر إلى أرض مدين ، فيقول له شعيب مطمئنا : (لا تخف
نجوت من القوم الظالمين) (٢٥ : القصص) .

وهنا تجدها ابنة شعيب فرصة فى الإمساك بهذا الرجل القوى
الأمين أن يفلت : (قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من
استأجرت القوى الامين) .

إنها هى نفس الابنة التى بعث بها أبوها إلى موسى لتدعوه إلى
أبيها ، لينزله منزل الضيفان ، وهو الغريب المنقطع عن أهله . .
٦ - وفى القرآن نجد المرأة (الأم) التى تفيض مشاعرها
بعاطفة الأمومة ، فتذهل معها عن كل شئ ، وتنسى معها كل شئ . .
فهذه امرأة فرعون ، وقد جاء الملائكة من أعوان فرعون بهذا الوليد
من بنى - إسرائيل - وهو موسى عليه السلام - ليقتله كما يقتل
غيره من مواليد بنى إسرائيل ، وما أن تكاد المرأة ترى الوليد الذى
التقطوه من اليم ، يعرض للقتل ، حتى تصرخ فيها عاطفة الأمومة ،
ولا تحفل بما قرره فرعون فى أمر هؤلاء المواليد ، ولا ترهب سلطانه ،
وما قد تلقاه من مصير ، فتقول : (قرّة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى

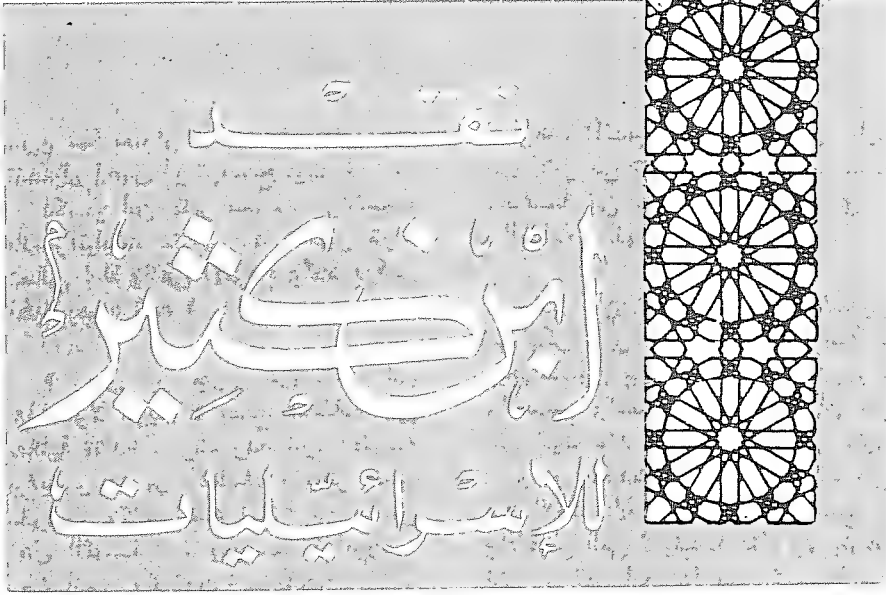
ان ينفعنا أو نتخذة ولدا) (٩ القصص) ويفيق فرعون من هذه المفاجأة وتحرك هذه الكلمات فى نفسه عاطفة الأبوة التى حرمه الله منها ، فيمسك عن قتل هذا الوليد ، أرضاء لزوجيه ، وترضيا لمشاعرها وقد حرمها الله الولد منه .

٧ - ومن هذا نرى أن المرأة نسيج متلاحم من التركيب الطبيعى للحياة الانسانية ، وأنها تأخذ مكانها فى القصص القرآنى كإنسان ، وكأنثى معا .. أما ، وزوجة ، واختا ، وابنة ، تقوم بوظيفتها فى الحياة ، بمالا يخرج عن طبيعتها كأنثى ، فتهتدى ، وتضل وتستقيم وتنحرف ، وهى فى جميع احوالها انثى تنظر الرجل ، وتقاسمه الحياة من غير أن تراحمه فى وظيفته كرجل ، ومن غير أن يراحمها الرجل فى وظيفتها كأنثى .. وبهذا تنتظم حياة الجسد الاجتماعى ، الذى يقوم كل عضو فيه بوظيفته التى لا يقوم بها غيره ، والتى ان كلف القيام بوظيفة غير وظيفته عجز ، ودخل من عجزه هذا الاضطراب والاختلال فى توازن الجسد كله .

والقصص القرآنى لا يستجلب المرأة استجلابا لاثارة العواطف ، وتهيج المشاعر ، كما هو الشأن الغالب فى القصص الأدبى ، الذى تستجلب له المرأة لاثارة الفرائز ، وتهيج المشاعر ، واسترضاء القراء لهذا القصص ، أو المشاهدين له فى عمل مسرحى أو سينمائى .

فالقُرآن اذ يذكر المرأة فى قصة من قصصه فانما يستدعيها من الواقع الذى كان مشهودا فى يوم من الأيام ، ثم يحركها وينطقها بما كانت قد تحركت أو نطقت به ..

فكل امرأة جاء ذكرها فى القصص القرآنى ، سواء ذكرت باسمها ، كمريم ابنة عمران ، أو بصفتها كامرأة نوح ولوط ، وأبى لهب وكامرأة فرعون - كل امرأة من هؤلاء كان لها مكانها فى الحياة ، وكان لها دورها على مسرح هذه الحياة - فهى - والأمر كذلك - حقيقة تاريخية ، لا شك فيها ولا امتراء ، وصورتها فى القصة القرآنية ، هى صورة مصغرة لها ، تحمل أبرز ملامحها ، وأوضح صفاتها .. فما ذكر القرآن الكريم فى قصصه إلا الحق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل) (١٠٥ : الاسراء) .. انه كلام الله ، والله تعالى هو الحق ، وكلامه الحق : (قوله الحق وله الملك) (٧٣ : الأنعام) .. (والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل) .



الأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

(٢)

ونعرض منهج ابن كثير فى نقده
للإسرائيليات .

من الأمور البدهية أن دين الإسلام
قد كمل فى عقيدته وشريعته ومنهجه
منذ انتقل المبلغ الأعظم — صلى الله
عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى .
واذا كان من المستحيل — عقلا —
أن تمنّ قنّاة اضمحل مأؤها ، وتعكر
وردها وقل خيرها على نهر فاض
مأؤه ، وصفا ورده ، وكثر خيريه ،
فمن المستحيل كذلك أن تضيف
الإسرائيليات شيئا ذا بال يكمل ديننا
بعد نقصان أو يوضحه بعد ابهام !
ان من الخطأ البين الذى وقع فيه
الكثيرون من المفسرين — غفر الله
لهم — أن توضع كلمات اسرائيلية لا

أوضحت فى المقال السابق الذى
نشر بالعدد رقم ١٠٧ أقسام
الإسرائيليات وموقف ابن كثير منها :
فالأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا
من الحق . وهو صحيح
مقبول .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا من
الأدلة الصادقة . وهو
مردود مرفوض .

والثالث : وهو المسكوت عنه . لا
نؤمن به ولا نكذبه .
ونجوز روايته .

ونزيد الأمر وضوحا — فى هذا
المقال — فيما يتعلق بالقسم الأخير .

وزن لها بجوار آيات الله على أنها تفصيل لجمل أو توضيح لمبهم ! ذكر ابن كثير سبب رفضه للأسرائيليات فقال عند تفسير قوله تعالى : « والقي الألواح واخذ برأس أخيه يجره إليه » (١) .

« روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة . وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ، ووضاعون وأفلاكون ، وزنادقة » (٢) .

وعقد موازنة بين علمائنا وعلماء أهل الكتاب فقال : « في القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أثـمـيـاء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة ، والأتقياء والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ، من منكروه وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه » (٣) .

وهذا المنهج الجيد الذي سار عليه ابن كثير في تفسيره نجده أيضاً مطبقاً في موسوعته الكبرى : (البداية والنهاية) في التاريخ .

وإذا كان المؤرخون يتسامحون في ذكر كثير من الأخبار الواهية ، ويجمعون بين الفث والسمين ، والسقيم والصحيح بحجة (أن من نقل إليك فقد حملك) فإن ابن كثير — وهو المحدث المدقق — قد أعرض عن الأمك الاسرائيلي الفاضح ، والأخبار التي لا يقبلها عقل ولا يقرها نقل . غير أنه إذا ذكر شيئاً من الاسرائيليات التي أذن الشارع في نقلها مما فيه بسط لمختصر وتسمية لمبهم ورد به شرعاً مما لا فائدة في تعيينه ، فإنه يذكره على سبيل التحلي لا على سبيل الاحتجاج إليه ، والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف يبينه (٤) .

قد يشعرك كلام ابن كثير هذا ، بأن تشدده قد قل ، وحدته قد هدأت عما رأيناه في التفسير . وهذا حق . وما كنا نود أن يذكر شيئاً من الاسرائيليات لا على سبيل التحلي ولا غيره .

وهذا الاحساس جال في خاطر ابن كثير ، فعاد وقرر أنه قد اتخذ منهجاً فريداً في البعد عن الاسرائيليات والخرافات ، وانكار ما

١ - الاعراض عن ذكر

الاسرائيليات :

يذكر ابن كثير في كثير من الآيات انه قد قيل ههنا اسرائيليات ضربنا عنها صفحا . وقد علل وجهة نظره في عدم ايرادها بان بعض الروايات يستحي من ذكرها ، وبعضها الآخر لا يذكره خشية الاطالة ، او لما فيه من اختلاق وافتراء ، او لقلّة ثمرته . وهذه نماذج لما أعرض عنه :

١ - قال في تفسير قوله تعالى : « فحسبنا به وبقدره الأرض » (٦) ، « وقد ذكر ههنا اسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا » (٧) .

٢ - وفي قصة ايوب عليه السلام ذكر كثير من الأساطير والآثار المختلفة والتي رواها الطبري وابن أبي حاتم والخازن وغيرهم ، لكن ابن كثير يقول في هذا :

« روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين ، وفيها غرابة ، تركناها لحال الطول » (٨) .

٣ - وفي تفسير قوله تعالى : « وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب .. » (٩) والآيات المتصلة بقصة داود عليه السلام تجد كثيرا من المفسرين - كالطبري - على علو مكانته وشأنه - ومقاتل بن سليمان وغيرهما - يذكرون كلاما منكورا ، وقصصا ملفتا من شأنه أن يرمى الأنبياء بها ليس فيهم ، ويخل

خالف ديننا وابطاله (وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ، ويتزاحم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه الكثير من الناس اليه ، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسنا نحذو حذوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق وما وافق ما عندنا ، وما خالفه نوقع فيه الانكار) (٥) .

ولعل هذا هو السبب في وقوف ابن كثير طويلا أمام الروايات التي ذكرها في موسوعته ، يوضح اسنادها وممتنها ، وصحتها أو ضعفها ولا يقبل الروايات على علالتها بل يناقشها ، ويدقق فيها ، باعتباره علما من اعلام الحديث .

وهو منهج فريد في دراسة التاريخ لولا ما فاتته من الاسرائيليات في (البداية) وكذلك التفسير وهو - على كل حال - قليل . وسنذكر الاسرائيليات التي فاتته في تفسيره فيما بعد ، ونناقشها ان شاء الله .

منهج ابن كثير في

نقد الاسرائيليات :

لمنهج ابن كثير في نقد الاسرائيليات جوانب متعددة :

١ - فقد يشير اليها ويعرض عنها .
ب - أو يذكرها منسوبة الى (بعض المفسرين) مفندا لها .
ج - أو ينسبها الى قائلها مع مناقشة لها وبيان لبطلانها .

بمصمتهم ، وجنابهم الأعلى .
لقد قالت الاسرائيليات — وبئس
ما قالت — ان داود تحايل على أحد
قواده ليقتله حتى يتزوج امرأته بعد
ان أعجبه حسننها ، مع ان داود كان
تحت من النساء — حسبما تقول
الرواية — تسع وتسمون زوجة ..
الى آخر هذا الكذب المحبوك ..

وقد فسرت النعاج فى الآيه
— على باطلهم — بالنساء مع ان
العلاقة بين الكلمتين ميتوته .
لكن ابن كثير — وهو الحافظ
الناقد — يقول عند تفسير قصة
داود :

(وقد ذكر المفسرون ههنا قصة
اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم
يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب
اتباعه) (١٠) .

٤ — قال ابن كثير عند تفسير
توله تعالى : « وقضينا الى بنى
اسرائيل فى الكتاب .. » (١١) :
(وقد روى ابن جرير فى هذا
المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا
مطولا ، وهو حديث موضوع لا محالة
لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى
معرفة بالحديث .

والمجب كل العجب كيف راج عليه
مع جلالة قدره وامامته ؟!
وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة
أبو الحجاج المزى رحمه الله بأنه
موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على
حاشية الكتاب .

وقد وردت فى هذا آثار كثيرة
اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها
لأن منها ما هو موضوع من وضع

زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن
يكون صحيحا ، ونحن فى غنية ولله
الحمد ، وفيما قص الله علينا فى
كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب
قبله ، ولم يحوجنا الله ورسوله
اليهم) (١٢) .

٥ — وفى تأويل قوله تعالى :
(فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك
وأنا أول المؤمنين) (١٣) قال : (وقد
ذكر محمد بن جرير فى تفسيره ههنا
أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن
محمد بن اسحاق بن يسار ، وكأنه
تلقاه من الاسرائيليات والله
أعلم) (١٤) . . وأحجم عن ذكر هذا
الأثر الغريب والمجيب .

٦ — وفى تفسير الآيات المتعلقة
بذى القرنين قال عند قوله تعالى :
(حتى إذا بلغ بين السدين) (١٥) .

(وقد ذكر ابن جرير ههنا عن
وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى
سير ذى القرنين ، وبنائه السد ،
وكيفية ما جرى له ، وفيه طول
وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم
وطولهم ، وقصر بعضهم وأذانهم .

وروى ابن أبى حاتم عن أبيه
— فى ذلك — أحاديث غريبة لا تصح
أسانيدھا والله أعلم) (١٦) .

٧ — وفى (تفسير ابن مردويه)
تجد منكرات وغرائب يقول ابن كثير
عند تفسير قوله تعالى : (يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه) (١٧) : (وقد
روى ابن مردويه عند تفسير هذه
الآية عن أبى ذر حديثا مطولا غريبا
عجيبا جدا) (١٨) وأعرض عن
ذكره .

٨ — لقد وقع كثير من المفسرين — وعلى رأسهم الطبري — فى اسرائيليات ما كان لهم أن يضمنوها كتبهم أو يسودوا بها صحفهم .

من ذلك ما يتعلق بقصة زواج النبی صلی الله علیه وسلم من زینب بنت جحش رضى الله عنها . ولقد راج — للأسف الشديد — قصص اسرائیلی مخرف حول قصة الزواج وأسبابه قديما — كتفسير الطبري ومقاتل — وحديثا كما نجد فى بعض كتابات المعاصرين .

يقول بعض من تصدوا للكتابة عن زوجات النبی صلی الله علیه وسلم حديثا :

« أمینکر على بشر رسول أن یرى مثل زینب فیعجب بها ؟ وماذا یطلب من مثله فى سمو خلقه ، وعفة ضميره أكثر من أن یشیع بوجهه عن أعجبه وهو یسبح باسم الله العظیم مقلب القلوب ؟ وأی ضبط للنفس ینتظر من بشر رسول أكثر من أن یجیئه زید فیستأذنه من جدید فى طلاقها فیأبى علیه الا أن یمسکها ویبقى الله ؟! » (١٩) .

وهذا کلام لا یلیق بقدر النبی ومقامه الکریم ، وهل یصل الأمر الى حد یدافع فيه هؤلاء القوم عن اسرائیلیات مكدوبة مفضوحة ، وضمت افتراء على رسول الله ، وعلى کتاب الله ؟!

لقد بلغ الجهل والحق ببعض الناس أن وضع کتابا — كما یقول ابن القيم — فى العشق ، وذكر فيه عشق الانبیاء ، وذكر قصة رسول

الله صلی الله علیه وسلم مع زینب ! یقول ابن القيم — صديق ابن كثير الحميم وزميله فى الدراسة :

(وأما ما زعمه بعض من لم یقدر رسول الله صلی الله علیه وسلم حق قدره أنه ابتلى به فى شأن زینب بنت جحش ، وأنه رآها فقال : سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبه ، وجعل یقول لزید ابن حارثة أمسکها حتى أنزل الله علیه (واذ تقول للذى أنعم الله علیه ..) الآیة .. فظن هذا الزاعم أن ذلك فى شأن العشق . وصنف بعضهم کتابا فى العشق ، وذكر فيه عشق الانبیاء ، وذكر هذه الواقعة وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل ، وتحمله کلام الله ما لا یحتمله ، ونسبته رسول الله — صلی الله علیه وسلم — الى ما برآه الله منه) (٢٠) .

ان الغرض الأساسی فى قصة زواج زینب رضى الله عنها هو احلال زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبنى ، وكانت العادة المتأصلة فى نفوس العرب تأبى ذلك . فندب الرسول — صلی الله علیه وسلم — وهو القدوة الحسنة لكسر هذا التقليد الذى استشرى فى أرجاء الجزيرة العربية ولا یقره شرع الله الحکیم .

فاذا ورد — بعد ذلك — قصص یحاک حول رسول الله ، وأعجابه بزینب وانها طلقت لیتزوجها الرسول لوقوعها فى قلبه ، فهو محض افتراء وأفك مبين .

حقیقة کان یحب رسول الله صلی الله علیه وسلم نساءه ، وكان أحبهن اليه عائشة رضى الله عنها ولم تكن

تبلغ محبته لها ، ولا لأحد سوى ربه
نهاية الحب كما يقول ابن القيم . وقد
صح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال : (لو كنت اتخذنا من
أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر
خليلا) وفى لفظ (وان صاحبكم
خليل الرحمن) .

وها هو ابن كثير يعقب على تلك
الروايات التى لفقت من قبل فيقول :

(ذكر ابن جرير ههنا آثارا عن
بعض السلف رضى الله عنهم أحبينا
أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها
فلا نوردها .

وقد روى الامام احمد ههنا أيضا
حديثا من رواية حماد بن زيد عن
ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه
غرابة تركنا سياقه أيضا (١٢١) .

فهل يجوز لأحد من المستشرقين أو
من يدور فى فلهم أن يعتبر هذه
الروايات المكذوبة ، والاسرائيليات
الهابطة ، حقائق يجب الدفاع عنها
بعد أن قال ابن كثير وزميله ابن

القيم منذ ما يزيد على ستمائة عام
أنها غير صحيحة ؟!
يقول الدكتور مصطفى زيد — مد
الله فى عمره — وهو يرد على هذا
البهتان :

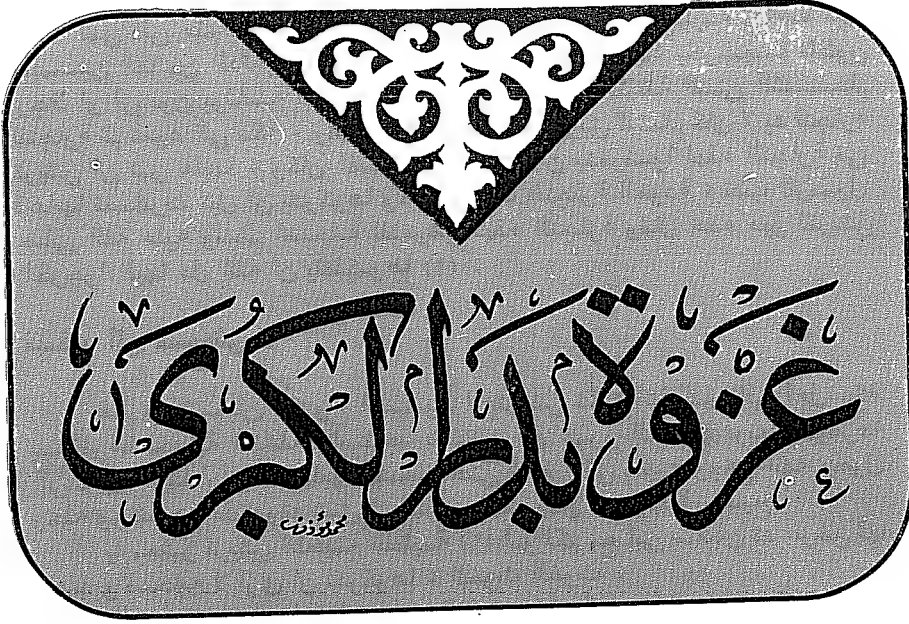
(ولسنا ندري كيف تبلغ بهم
الجرأة الى حد الدفاع عن اسرائيليات
لفقت قبل الطبرى .؟) ثم لماذا
يحتجون بمفسر كالزمخشري لم يعرف
بالحفظ والرواية فى أمر يحتاج اليهما
ويغفلون مفسرا حافظا محدثا هو
الحافظ ابن كثير (٢٢) . ثم نقل
النص الذى أوردناه عن ابن كثير
سابقا .

هذه بعض الاسرائيليات التى
أعرض عنها ابن كثير ولم يذكرها فى
تفسيره مع اشارته الى من ذكرها
وتنبيهه على عدم صحتها .

لكننا نجده يذكر فى مواضع أخرى
كثيرة من تفسيره اسرائيليات منسوبة
الى قائلها ويناقشها ويدحضها سندا
ومتنا . وهو ما سنبينه فى مقال آخر
إن شاء الله .

- (١٢) الأعراف : ١٤٣/٧
(١٤) تفسير ابن كثير : ٢٤٥/٢
(١٥) الكهف : ٩٣/١٨ -
(١٦) تفسير ابن كثير : ١٠٤/٣
(١٧) آل عمران : ١٠٦/٣
(١٨) تفسير ابن كثير : ٣٩٠/١
(١٩) انظر : نساء النبى : ١٤١ دار الهلال
(٢٠) زاد المصاد : ١٥١/٣
(٢١) تفسير ابن كثير : ٤٩١/٣
(٢٢) سورة الأحزاب عرض وتفسير :
١٥١ ، ١٥٢ طبعة دار الفكر العربى .

- (١) الأعراف : ١٥٠/٧
(٢) تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٢ ط الحلبى .
(٣) المصدر السابق : ٨٩/٢
(٤) انظر البداية والنهاية : ٦/١
(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .
(٦) القصص : ٨١/٢٨
(٧) تفسير ابن كثير : ٤٠١/٣
(٨) المصدر السابق : ١٨٨/٣
(٩) ص : ٢١/٢٨
(١٠) تفسير ابن كثير : ٣٠/٤ ، ٣١ .
(١١) الاسراء : ٤/١٧
(١٢) تفسير ابن كثير : ٢٥/٣



للدكتور عبد الله محمود شحاته

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وتركوا ارضهم وأموالهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وفى المدينة وضعت دعائم الدولة الجديدة وبنى المسجد النبوى ، وكان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومقرا لاستقبال الوفود ، ومنتدى للاجتماع ، ومؤسسة اجتماعية تربوية للتعليم والتهديب .

وكان القرآن فى المدينة يشرح العقيدة ويوضح أصول الدين وأهداف التشريع وحقوق الأسرة ويبين نظام العلاقات بين الأفراد والجماعات . والاسلام فى طبيعته نظام عام ودعوة عالمية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقد وقفت قرىش فى سبيل هذه الدعوة ، وعرضت المسلمين لجميع صنوف الأذى والاضطهاد وصادرت أموالهم وحقوقهم ، والقانون الدولى يبيح للدول أن تقتص لنفسها من غرمائها ، وقد أباح الله للمسلمين أن يقاتلوا ، دفاعا عن أنفسهم وردعا لطواغيت الكفر وتحطيم كبرياء الظالمين ، قال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

قافلة أبى سفيان

نمى الى علم المسلمين أن قريشا أسهمت فى تجارة عظيمة قدر ما فيها بخمسين ألفا من الدنانير وأن هذه التجارة تدير فى قافلة يحرسها ثلاثون رجلا أو أربعون برئاسة أبى سفيان وستذهب هذه القافلة الى الشام للتجارة ثم تعود الى مكة ، ولما كانت المدينة على طريق الشام كان لا بد لتجارة قريش أن تمر عليها ، وكان المسلمون يريدون أن يتعرضوا لهذه التجارة فى ذهابها فسافرت قبل أن يدركوها وحين قاربت التجارة العودة ، ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه للتعرض لهذه التجارة وقال هذه غير لقريش اخرجوا اليها عل الله أن ينفلكموها (١) .

نذير الى قريش :

علم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته فأرسل الى أهل مكة يستنفرها لحماية القافلة واستأجر ضمضم بن عمرو الفخاري وبعثه مسرعا الى مكة ، وما أن وصل اليها ضمضم حتى قطع أذنى بعيه وجدع أنفه وحول رحله ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح :
يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (٢) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الفوث الفوث .
فخرجت قريش على الصعب والذلول وكان أبو جهل يستنفر الناس عند الكعبة ويحثهم على الخروج من مكة لقتال المسلمين وحماية التجارة .

نجاة القافلة :

نجا أبو سفيان بتجارته وسار متبعا ساحل البحر ، وأرسل الى قريش يشير عليهم بالرجوع ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدا ، وقد عاب القرآن علم المشركين غرورهم بقوله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون : ان سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

هيش المسلمين :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصحابه من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، وكانت أمام المسلمين فى مسيرتهم رايتان سوداوان ، وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيرا يتعاقبون عليها وكل أربعة يعتقبون بعيرا . وكان حظ النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا كحظ سائر أصحابه . فكان هو وعلى بن أبى طالب ومروث بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .
وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، مائتان ونيّف وأربعون من الاتصار والباقون من المهاجرين .

جيش المشركين :

تميزت قريش في بلاد العرب بالجاه والمنزلة الرفيعة وتمتعت بالسيادة الدينية والسياسية وكان أهل مكة يتميزون بالفنى والثروة والتدريب على الحروب ، وكانوا على علم تام بضروب القتال كما هي الحال في العالم في ذلك العصر ، فكانوا يعرفون فنونه وأدواته كما تعرفها الأمم المحيطة بهم ، وبذلك أصبحت مهمة المسلمين في انتزاع النصر من قريش شاقة عسيرة .

كان جيش قريش ينطق بما لها من قدرة اقتصادية وعسكرية ، فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول ، وكان معها من الأبل ما يكفي لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم ، وكان كل ما يعرف من أنواع السلاح إذ ذاك متوافرا لها بسبب ثرائها ، واستعدادها الدائم للحرب وخصوصا هذه المعركة .

مقارنة :

كان جيش قريش أقوى وأكثر ولكن المسلمين كان معهم سلاح لا يملكه أعداؤهم :

معهم الله : أيدهم بنصره وأرسل النوم الى عيونهم ليلة المعركة ، وأنزل المطر ينعش أبدانهم ، والملائكة تؤيدهم (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) .

معهم الله : أراد أن يجعل من بدر فرقانا بين الحق والباطل وأن تكون بدر هزيمة للمشركين ونصرا للمؤمنين وأن تدفن قريش كبرياءها وجبروتها وسطوتها في معركة بدر .

(واذا يعذبكم الله إحدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

معهم الله : نصروا شرعه ونفذوا تعاليمه وأيدوا نبيه فبارك الله المسلمين وأيدهم بروح من عنده .

(وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم) .

معهم الله : كان يؤيد خطاهم ويبارك عملهم ويقوى جنانهم فتنهال سيوفهم على رقاب المشركين تحصدهم حصدا .

(اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

معهم الله : ومن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء ، عند الله جنود كثيرة وأسلحة متعددة عنده الملائكة وسلاح الرعب والخوف وسلاح الريح العاتية (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر) .

كيف دارت المعركة :

تلاقى الفريقان عند قرية بدر (٣) . وقد تقدم جيش المسلمين من الشمال الى الجنوب ، فلما وصل الى ساحة بدر كانت على يمينته سلسلة من التلال

المرتفعة وكذلك على ميسرته سلسلة أخرى أقل ارتفاعاً .
وتقدم جيش المشركين ، وكان أمامه كثبان من الرمل تقع غرب وادي بدر وعلى ميسرته أرض صخرية قليلة الارتفاع .
فى السهل الذى بين هذه الجبال وهذه الكثبان وقع أول تصادم بين القوتين ، وكانت الليلة التى سبقت المعركة شاتية ، فهطل مطر غزير فى ناحية قريش ، وكان أقل غزارة فى ناحية المسلمين ، مما جعل مهمة قريش فى التقدم الى ساحة بدر أشق من مهمة المسلمين ، ولما تقدموا فى الصباح استقبلت المشركين الشمس من المشرق وهم متجهون اليها ، فكانت من العوامل الطبيعية المؤذية لهم . نشبت المعركة كما تنشب المعارك فى ذلك العصر ، بفرسان يتقدمون الصفوف ويتصارعون ، فتقدم ثلاثة من بنى هاشم ، ولقيهم ثلاثة من صناديد المشركين ، وفى دقائق معدودة فتك المسلمون بأنسادهم فكان هذا استفتاحاً حسناً للقتال . وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك الأمر الحكيم ، أمر الكتيبة الإسلامية أن تتراص ولا تتحرك من مكانها ، وأن تصد بالنبال خيل العدو وهى تأتياها من جوانبها فرأت قريش لأول مرة كيف تثبت الراجلة أمام حملات الخيالة غير هيابة ولا مرتبكة . وللخيالة رهبة عظيمة فى هجومها يعرفها الذين مارسوا الحرب وشاهدوها .

دعاء الرسول وبلاؤه :

حمى وطيس المعركة ورسول الله يدعو ويحرض على القتال ، ينظر الى المشركين فيقول . اللهم هذه قريش جاءت اليك بخيلها ورجلها تحارب دينك وتكذب نبيك ، اللهم فنصرك الذى وعدتني .
ويلتفت الى المسلمين فيقول : اللهم هؤلاء أتباعى حفاة فاحملهم عراة فاكسهم جياح فأطعمهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض .
والتفت النبى الأصحابه قائلاً « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا أدخله الله الجنة » .
وفى حال النبى وأصحابه هذه نزلت هاتان الآيتان :
(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) .
وكان صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف ويحث على الثبات ويبشر المؤمنين بالنصر ، وتناول حفنة من التراب فرمى بها فى وجوه الكافرين وقال : شامت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس فكانت حفنة التراب كأنها قنابل مسيلة للدموع فصار كل كافر يفرك فى عينيه والمسلمون يضربون أعناق الكافرين ويقطعون رقابهم . قال تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

نتيجة المعركة :

انتهت معركة بدر بهزيمة المشركين فانطلق المسلمون فى أثرهم وأخذوا فيهم الجراح والقتل ، لا يلتفتون الى نهب ولا سلب ، كمادة الحرب فى ذلك

العصر ، حتى انقلبت العظمة القرشية فرارا مخزيا ، وانكسارا غير مسبوق لقريش .

كانت قتلى قريش فى هذه المعركة خمسة امثال قتلى المسلمين وكان اسراهم مثل قتلهم ، ولكن ليس المهم فى بدر عدد من دفنت قريش من القتلى ولا عدد الأسرى ولا مقدار الغنائم ، وإنما المهم هو أن قريشا دفنت فى وادى بدر سيادتها على الجزيرة العربية ، وليس الأمر الخطير هو أن المسلمين أخذوا سبعين أسيرا ، ولكن الأمر الخطير هو أن هامات المشركين العالية ورعوسهم المرتفعة وأوداجهم المنتفخة قد شددت بالأغلال والقيود وسار المشركون وراء دواب المسلمين وخيولهم وقد طأطأوا رعوسهم وأذلوا جباههم وأحنوا هاماتهم أمام قدرة المسلمين . وانتقلت القدرة العسكرية من مكة الى المدينة .

أرادة الله :

أراد الله أن تكون بدر ملحمة لا غنيمه ، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل ليحق الحق ويثبتته ، ويبطل الباطل ويزهقه . وأراد أن يقطع دابر الكافرين فيقتل منهم فريق ويؤسر فريق ، وتذل كبرياؤهم وتداول دولتهم وتخفق راية الاسلام عالية جهارا نهارا عن استحقاق لا عن مصادمة وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالانفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح امة وأن تصبح دولة ، وأن يصبح لها سلطان وقوة . وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية الى قوة أعدائها فترجع ببعض قوتها على قوة أعدائها وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال والخيول والزاد ، إنما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى التى لا تقف لها فى الارض قوة أبدا .

أراد الله أن تمضى بدر فى التاريخ كله قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو فى قلة من العدد ، وضعف فى الزاد والراحلة . قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله وحين تتخلص من ضعفها الذاتى الا ان غزوة بدر بهلايساتها هذه ، لتمضى مثلا فى التاريخ ، الا وانها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة . الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية . الا وانها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال فى كل زمان وفى كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها فهى آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية فى خلقه ما دامت السموات والأرض .

الشورى فى معركة بدر

الاسلام دين حرية العقيدة وحرية الراى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

ومن مبادئ الاسلام ونظمه الشورى ، قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) .

وفى بدر ظهر مبدأ الشورى واضحا ظاهرا ، استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مبدأ القتال هل يقاتل أم يرجع ، وذلك أن المسلمين

خرجوا للاستيلاء على قافلة أبي سفيان ثم غرت القافلة وأصبحوا أمام جيش مدرب بأحدث الأسلحة معد بأقوى العدد والعتاد ، فكرر عليه الصلاة والسلام طلب المشورة من أصحابه وقال أشيروا على ، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وسكت الناس . فقال الرسول : أشيروا على أيها الناس . وكان يريد بكلمته هذه الانتصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم . فلما أحس الانتصار أنه يريدهم ، وكان سعد بن معاذ صاحب رأيهم ، التفت إلى النبي الكريم وقال : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : أجل . قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، أنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ولم يكده سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه الرسول بالمسرة وبدأ عليه كل النشاط وقال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

وقد عمل النبي بمشورة أصحابه أيضا في بناء عريش له وهو خيمة من خشب تدار منها المعركة أشبه بغرفة العمليات ، وقد بنى العريش بمشورة سعد بن معاذ زعيم الانتصار الذي قال عند بدء القتال :

يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا . وأن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ، ويجاهدون معك . وأنتى محمد صلى الله عليه وسلم على سعد ودعا له بخير . وبنى العريش للنبي حتى إذا لم يكن النصر في جانبه لم يقع في يد أعدائه بل يسرع إلى المدينة ليجد الانتصار والاتباع مستعدين للجهاد والدفاع عن الحق وعن الدين .

وهنا نلمح وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للنبي وصدق إيمانهم برسالته ، ففي أشد حالات الحرج فكروا في حماية النبي وتوقيته أن يظفر به عدوه ومهدوا له سبيل الاتصال بمن خلفهم من أهل المدينة .

وقد استجاب الرسول القائد لتفكيرهم السليم عملا بمبدأ الشورى ، الذي أقره الإسلام ودعا إليه .

الشورى في تخيير مكان المعركة :

تابع الرسول صلى الله عليه وسلم مسيرته وسار مع المسلمين إلى ماء بدر فلما جاءوا أدنى ماء منها نزل محمد به ، وكان الحباب بن المنذر بن الجموح عليهما بالمكان فلما رأى حيث نزل النبي قال : يا رسول الله أرايت هذا المنزل آمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي

والحرب والمكيدة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القلب (٤) ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

ولم يلبث النبي الكريم حين رأى صواب ما أشار به الحباب أن قام ومن معه واتبع رأى صاحبه ، معلنا الى قومه أنه بشر مثلهم وأن الرأي شورى وأنه لا يقطع برأى دونهم ، وأنه فى حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم .

من أسباب النصر في بدر :

كان جيش المشركين ثلاثة أمثال جيش المسلمين وكان أكثر عدة وعددا ، ولكن شيئا آخر عظيما كان متوفرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من العدد والعدة ، أما هذا الشيء العظيم فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام ، فان التربية المحمدية سواء أكانت فى صورة العبادة أم تلقين عقيدة التوحيد ، أم أرجاع الأمر الى الله مع حسن العمل أم الإيمان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة ، أم إثارة الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولى الأمر منهم .

— ان هذه التربية أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين .

والثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الاسلام نفوسهم ، فانهم دون مشركى العرب كانوا يؤمنون بالله ففهم لذلك لا يرون فى الموت فناء مطلقا ، بل يرون أن وراءه — مع إدراك فضل الشهادة — حياة أبقي وأسعد من هذه الحياة . يرون أن روح الشهيد لا تذهب الى فناء بل تأوى الى قناديل من نور وتسبح حول المرش ، وتحيا فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من رحيقها المختوم مصداقا لقول الحق سبحانه « ولا تحسبن الذين فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ومن نماذج الشهداء ما روى أن شابا فى السادسة عشرة من عمره كان فى كتيبة المؤمنين فلما سمع الرسول يحرض المؤمنين على القتال ويعددهم الجنة قال أذن ليس بيني وبين الجنة الا هذه الثمرات ؟ وهى ثمرات كان يأكلها ، فقذفها ، وحمل بسيفه على المشركين فلم يسزل يقاتل مستبسلا حتى لقي الموت الذى يريده وقد استشهد حارثة فى معركة بدر وسألت أم حارثة رسول الله قائلة يا رسول الله حارثة ابنى فى الجنة أم فى النار فان كان فى الجنة صبرت وان كان فى النار بكيت ما أسعفتنى البكاء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله يا أم حارثة أنها جنان وليست جنة وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى منها .

والثالث — من أسباب النصر — وحدة القيادة ، فقد كان المسلمون

ممتازين بها ، يتفانون فى الاخلاص والطاعة لقائدهم ، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم .

ولنذكر لذلك ما حدث فى أثناء المعركة ، اذ رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الصف رجلا خارجا عن رفاقه فى الصف ، فوكزه ، فقال الرجل : أوجعتنى يا رسول الله ، فأقذننى منك ، فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : اقتص لنفسك ، فقبل الرجل بطن النبى ، فقال النبى : ولم أذن ؟ قال يا رسول الله حضر من الأمر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدى بالدنيا أن يمس جلدى جلدك .

تلك أهم الأسباب التى انتصر بها المؤمنون ، ولا تظنوا أن قريشا كانت خائفة فاقدة للنظام والقوة المعنوية ، فقد كان لديها اكمل نظام يعرفه العرب ، ولها من عزتها ، ومن حب المحافظة على سيطرتها العسكرية ، ومن الرغبة فى الانتقام ، ومن العزم على الاحتفاظ بحرية التجارة وسلامة الطرق الموصلة لهذه التجارة ، ما جعلها تقاتل مستتبسة ، حتى أن رجلا منها أقسم أن يرد حوضا وسط جيش المسلمين ، فلما قطعت رجله قبل أن يصل اليه دفع نفسه السى الحوض ، وهدم جزءا منه برجله الأخرى ، ولما جرح أبو جهل مر به رجل من المسلمين وهو فى حشجة الموت ، فوضع قدمه على عنقه ، وقال أرايت كيف أخزاك الله ؟ قال وبم أخزاني أعار أن أقتل ؟ من هذا تدركون عظم مهمة الجيش الاسلامى فى سبيل انتزاع السيطرة العسكرية التى كانت لقريش .

وترون أن نصر المسلمين فى بدر يمكن أن يسجل لهم بحروف من نور لأنه كان أعجوبة الأعاجيب وحدثا هاما من أحداث الحرب ودليلا عمليا على أن للنصر أسبابا معنوية لا تقل أهمية عن الأسباب المادية وتظل بدر فى جبين التاريخ غرة ناصعة ، وحدثا خالدا :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .
ولئن ذهبت بدر فانها لم تكن حادثا فريدا بل توالى بعدها الغزوات فى أحد والخندق والحديبية وغزوة تبوك وفتح مكة وغزوة حنين والطائف .
وتوالى زحف المسلمين فى القادسية ونهاوند واليرموك ومصر .
وظلت روح الايمان تدفع المسلمين الى النصر فى تاريخهم المجيد فى معركة عمورية وفى معركة حطين وفى كفاح الجزائر وفى معركة بورسعيد .
وعند الله بدور أخرى وسيظل نصره يخفق على المؤمنين ما داموا أهلا لنصرته عاملين بشرعه ملتزمين بأمره مجتنبين لنواهيه وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

- (١) أن يجعلها لكم من الانفال والغنائم فيغنم المسلمون هذه التجارة تعويضا عن الخسائر الفادحة التى لحقتهم بالهجرة فرارا بدينهم بعد أن تركوا أوطانهم ودورهم واموالهم وتجارتهم فى مكة .
- (٢) اللطيمة : المال والتجارة ..
- (٣) هى قرية بين مكة والمدينة ، وهى الى المدينة اقرب . وكانت بها سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام ، وقد شاهدها عند أداء فريضة الحج فرأيت قرية بسيطة بها استراحة للمسافرين . فقلت هنا كانت الامجاد والشهداء والنصر المؤزر من السماء .
- (٤) القلب جمع قلب ، وهو البئر ، ينكر ويؤنث . وتفويرها : كبسها بالتبراب حتى ينضب ماؤها .

اليهود

وتأمرهم على النبي

صلى الله عليه وسلم

- ٣ -

للدكتور محمود محمد زيادة

خير :

تقع خير في شمال المدينة . على بعد مائة ميل منها ، وهي واحة كبيرة خصبة بها نخل كثير ومزارع واسعة وحصون مرتفعة مقامة بين النخيل والحقول على مرتفعات من الأرض تزيدها حصانة ومناعة .

وكان اليهود الذين أجلاهم النبي عن المدينة نزل بعضهم في خير والقرى المتصلة بها ، والداخلية في نفوذها مثل وادي القرى ، وفدك وتيماء . بينما تابع بعضهم الآخر سيرهم إلى الشام ، وكان ممن ذهب إلى خير زعماء بني النضير .

ومن هذا الموقع بدعوا يدبرون المكائد ، وطريقة الانتقام لأنفسهم وليهوديتهم . ظانين أن يد الرسول لن تصل إليهم .

وكان من أهم ما قاموا به تحريض قريش على الرسول وتحالفهم معهم ثم ذهابهم إلى غطفان ، وتحالفهم معهم أيضا ، وجمع الأحزاب . ثم اقناعهم ليهود بنى قريظة بنقض عهدهم مع الرسول . وبذلك أحكموا الحلقات وضيقوا الحصار على المسلمين ، وكان زحفا خطيرا . كان من نتائجه أن زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، وبلغت القلوب الحناجر ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا رائعا وتم القضاء على بنى قريظة كما سبق منا القول بذلك .

وكان من المنتظر أن يقف نشاط اليهود ، وأن يكفوا عن التأمر ، وأن يتعظوا بما حدث للقرظيين ، ولكنهم ما زالوا في غيهم سادرين ، واستمروا في نشاطهم وتحريضهم قبائل غطفان وغيرها على غزو المدينة

فأخذت تتقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاهد أو الدخول في الاسلام . بل أخذ يقد وافدون على النبي من وراء مكة ويدخلون الاسلام مثل الأشاعرة اليمنيين الذين جاءوا ، وعلى رأسهم « أبو موسى » وشهدوا حرب خيبر .

حينئذ عزل اليهود ، وصاروا وحدهم ، فكانت الفرصة مهيأة لفزولهم فصار الرسول اليهم في شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة بألف وستمائة من المسلمين فيهم مائتان من الفرسان ، وان هذا الجمع في مسيره الى تطهير أرض الجزيرة من عنصر اليهود أو تقليد أظفارهم . كانت علامات البشر بادية على وجوههم وصدرت أوامر رسول الله الى « عامر بن الأكوع » أن يتولى حذاء القافلة ليشحذ هم القوم ويجدد نشاط الإبل . فصار عامر يحدو بهذه الأبيات :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكتة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا
إنا اذا صيح بنا اتينا
وبالصياح عولوا علينا
وهكذا قطع المسلمون الطريق الى خيبر ، فلما تراءت لهم حصونها المنيعة الكثيرة أمر أصحابه بالوقوف . ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين ، وما أظللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين . نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها . أقدموا باسم الله .

ولا غرابة أن يأمر الرسول أصحابه بالوقوف أمام خيبر ، ويدعو ربه الذي لا ملجأ له سواه ، فتلك عادته صلى الله عليه وسلم . لا سيما أمام حصول خيبر فالاستيلاء على حصونها

ومن هؤلاء المحرضين « سلام بن أبي الحقيق » و « أبو رافع بن الحقيق » وكلاهما من زعماء بني النضير فقد جعل الأول لفطفاً لجعلاً لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثاني لبنى سعد بن بكر تمراً من خيبر ، وعلم النبي بذلك ، فبعث بعثاً من الأنصار بقيادة « عبد الله بن عتيك » الذي كان يعرف اللغة العبرية ، فاستطاعوا بذلك أن يدخلوا عليه ويقتلوه ، وقد تصايح اليهود ، وخرجوا اليهم في ثلاثة آلاف ولكنهم أفلتوا منهم ، ووصلوا المدينة سالمين ، فأمر اليهود عليهم في خيبر « أسير بن رزام » فصار يجمع الأحزاب لحرب المسلمين ، فأرسل الرسول اليه « عبد الله بن رواحة » في جماعة فقتلوه هو ومن معه ، وكانوا ثلاثين شخصاً .

وهكذا صار الرسول يرسل سراياه للتكيد بالمتأمرين ، وفي عزمه أن يطهر شمال المدينة من هذا الرجس كما طهر نفس المدينة ، ولكن يظهر أنه آخر ذلك لأنه كان لا يزال في حالة حرب مع مكة . فلما عقد مع قريش صلح الحديبية ، وأمن ظهره من الجنوب . زاد حنق اليهود ولجأوا الى سلاحهم الدنيء ، وهو سلاح الشائعات لبلية الأفكار وإشاعة الاتاويل ضد الاسلام ، والمسلمين ، فما أن تناهى الى علمهم أن الرسول عقد صلحاً مع قريش - صلح الحديبية - حتى أثاروا شائعة وهي أن النبي والمسلمين كانوا ذاهبين لفتح مكة ، فلما لم يقدروا لضعفهم وقتلتهم عقدوا صلحاً ، ويظهر أن بعض القبائل العربية في نجد صدقت هذه الشائعة فبدأوا يستعدون للتحالف مع اليهود ، وكان علم ذلك يصل الى الرسول فيباغتهم ، ويمزقهم شر ممزق ، فتغير الموقف ، لأن القبائل الكثيرة . التي كانت تقف موقف المترصب . تبدل موقفها ،

ليس بالأمر الهين ، فهي تقع في منطقة صخرية وترتبطها بركانية . خصبة بالذئيل والحبوب الغذائية ، وكان أهلها أعرف بشئون الحرب وأقوى طوائف اليهود بأسا وأكثرها سلاحا ، وعندهم آلات تخريب ودفاع عن الحصون . لكنهم ككل اليهود يغلب عليهم الجبن ، ولا يحاربون إلا أمام حصونهم لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر . وكان الرسول يعرف فيهم هذه الطبيعة ، فأعد للأمر عدته ، فكان وصول المسلمين الى خيبر ليلا ، فلما كان الصباح فوجيء يهودها برسول الله يقول : الله أكبر خربت خيبر . إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين . وردد أصحابه التكبير ، فدوى صوتهم في الفضاء وتردد صده ، فملا الجو فزعاً ورعباً . استيقظ أهل خيبر على هذا الصوت فزعين ، فأسقط في أيديهم واعتصموا بحصونهم الكثيرة التي منها ناعم ، والصعب ، والزبير ، والنطاة ، والقموص ، والوطيح ، والسلالم ، وظنوا أنها مانعتهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب .

ولما كان الرسول يعرف مقدار حب اليهود للمال . هددهم بإتلاف مالهم ، فأمر أصحابه بقطع نخيلهم عسى أن يحملهم ذلك على التسليم ، فلما لم يسلموا أمر بالكف عن قطع النخيل ، وبدأ في مهاجمة الحصون ومحاصرتها حصنا حصنا . فالتurf اليهودي في كثرة من عدد وعدة وعتاد ، ومناعة موقف ، والمسلمون في استبسال وإيمان ويقين بالسيطرة على الموقف . اليهود يخرجون للقتال في النهار ، ويلجأون للحصن الذي عليه القتال بالليل . فيسقط حصن ناعم ، ومن بعده حصن القموص . ثم حصن الصعب ، ثم حصن الزبير . ثم حصن

النطاة الذي قتل فيه إخوة ثلاثة من اليهود هم مرحب ، والحارث ، وياسر ، ثم جاء دور الوطيح والسلالم ، وكان كلما ظهر زعيم معتد بنفسه دحر أمام قوات المسلمين ، وثباتهم ، وقد أبدى على بن أبى طالب في هذه الفزوة شجاعة نادرة ولعبت الفدائية الإسلامية دورها في نفوس وقلوب المقاتلين المسلمين وقدم المسلمون فيها نماذج للبذل والتضحية . كى يتخلصوا من كل آلامهم وضيقهم من مؤامرات اليهود ضدهم ، ونجحوا في ذلك نجاحا رائعا بعد أن استمر القتال سبعة أيام ، وبلغ عدد الشهداء من الجيش الإسلامي خمسة عشر شهيدا ، وقد هلك من اليهود نحو ثلاث وتسعين .

وبعد أن قتل هذا العدد الكبير منهم ، وسقطت حصونهم ، استسلموا وطلبوا الصلح فدارت المفاوضات بين الفريقين . انتهت بالشروط التي منها :

- ١ - أن يحقن الرسول دماءهم ، ويترك أسراهم .
- ٢ - ضرورة الجلاء اليهودي عن خيبر بكل أراضيها ، وأن لا يأخذ أحد منهم أكثر من ثوب واحد .

ولكنهم توسلوا الى رسول الله ، أن يسمح لهم بالبقاء في بلدهم وأن يقوموا بزراعة الأرض على أن يكون لهم نصف محصولها ، وللمسلمين النصف الآخر ، وقالوا له : نحن أعلم بها منكم وأمر لها : فصالحهم الرسول على المناصفة وشرط عليهم أنه إذا شاء أخرجهم .

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك منهم لدوافع منها : **أولا :** أنه بسقوط خيبر . أمن بأن اليهود لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك . **ثانيا :** لأن الأرض الزراعية التي آلت اليهم من خيبر بحداثتها

وزروعها ونخيلها كانت تحتاج الى الايدي العاملة ، ولا يوجد فى المدينة من الانصار من يستطيع القيام بحاجة أرض خيبر الى جوار بساتينهم فى المدينة .

ثالثا : كان النبی فی أشد الحاجة الى جيوشه التى تعمل معه فى ميدان الحرب ، فمن الحكمة أن يترك هؤلاء اليهود للعمل فى الزراعة تحت بصر المسلمين ورعايتهم . بعد تقليم أظفارهم بالقضاء على زعمائهم فى ميدان الحرب وقتل كل خطر بعد انتهاء الحرب مثل كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق الذى كان من رؤوس المحرضين على غزوة الأحزاب ، وكان قتله قصاصا لقتله أخا لمحمد بن مسلمة ، وكذلك قتل أخوه الربيع الذى شاركه فى التحريض .

وبعد أن أمن يهود خيبر وقسم غنائمها ترك « عبد الله بن رواحة » ليتولى خرص ثمارها وتقسيمها بالعدل .

وبهذه النهاية . قضى على نفوذ يهود خيبر ، وأطماعهم وآمالهم فى السيطرة والتوسع (فذلك) وادى القرى . تيماء) بسقوط خيبر القى فى قلوب يهود فداك الفرع والرعب ، فلما أرسل اليهم النبی يطلب منهم أن يسلموا أو يسلموا أعلنوا رغبتهم فى الصلح على نصف ما بأيديهم من غير قتال ، فكانت خيبر للمسلمين الذين قاتلوا عليها ، وكانت فداك نصيب رسول الله خالصة له لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وفى عودة رسول الله الى المدينة بعد هذا النصر على اليهود فى خيبر وفداك . مر بوادى القرى فوجد أهلها من اليهود قد تجهزوا لقتاله فنازلهم حتى أذعنوا للصلح على ما اصطلحت عليه خيبر ، وأقام عليهم عاملا هو

« عمرو بن سعيد بن العاص » . ولما بلغ أهل تيماء فتح وادى القرى ، صالحوا النبی على الجزية وأقاموا ببلدهم وأرضهم فى أيديهم . وبسقوط تيماء دانت كل العناصر اليهودية فى شبه الجزيرة العربية لسلطان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان فيها وأصبح رسول الله فى مأمن من ناحية الشمال الى الشام . كما أصبح فى مأمن من الجنوب . بعد صلح الحديبية .

وبهذا العمل الجليل رفض المسلمون الوجود اليهودى القائم على السيطرة والاستغلال ، والتوسع بأسلوب التآمر والذس والخديعة والوشاية والخلق اليهودى الذنى الذى لا يبالي بالقيم الخلقية ، ولا يعترف بالقوانين ولا التقاليد ، ولا العهود والمواثيق . فمع أن الرسول منحهم فرصة الحياة فى الواحات الشمالية الا أن طبعهم الذنى وحقدهم الدفين دفعهم على الرغم من تشبثهم أن يتربصوا بالمسلمين الدوائر للأخذ بالثأر منهم فصاروا يعملون فى الخفاء . غريزة الجبناء الأذال ، فلم يقدروا على شىء ، فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ظنوا أن قوة المسلمين ستنتهار فكانت لهم مواقف عدائية ، فساعدوا « طليحة بن خويلد » الأسدى المتنبئ وساعدوا « الأسود العنسى » وكانت هذه المساعدات فى الخفاء ، ولكن الله قبض للإسلام رجل الساعة وهو خليفة رسول الله الأول « أبو بكر الصديق » ففوت على اليهود أغراضهم وخيب ظنهم .

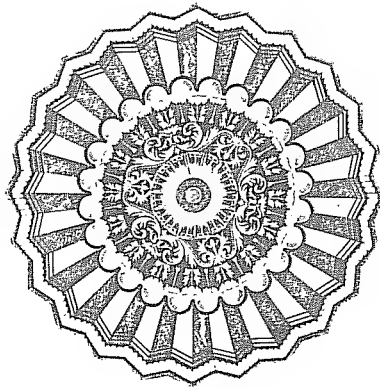
ثم جاء بعده الخليفة الثانى « عمر ابن الخطاب » فتابع رسالة أبى بكر فى الفتوح وتأمين الدعوة ،

واستقرار الدولة على أساس قوى
من العدل والمساواة والحرية ،
ومبادئ الاسلام القوية الصادقة .

بسوء . كما انه استند على شرط فى
عهد رسول الله إليهم ، وهو . ان له
اخراجهم عندما يشاء .

وبهذا ظهرت الجزيرة العربية من
دنسهم ، ولم يجدوا لهم مستقرا الا
خارج حدودها فى اطراف بلاد الشام
ولكن لم تنته مؤامراتهم ضد الاسلام
والمسلمين ، فما زالوا يكيدون للاسلام
والمسلمين بصور شتى . تحتاج الى
كتب كثيرة لو تتبعنا تاريخ هؤلاء
الانجاس ، وآخرها الحركة
الصهيونية التى استطاعت بمساعدة
الاستعمار ان تجعل لها كيانا فى
فلسطين ، وان شئت فقل ان
الاستعمار وضع اليهود شوكة فى
جنب العرب ، وجعلهم جسرا له ،
ولكن قد قربت نهاية الاستعمار
ورببته اسرائيل فقد صمم الشعب
العربى على ان يستعيد حقوقه ويظهر
أرضه ومقدساته ، ويقضى على
الدخلاء قضاء نهائيا ، وحينئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ، وإنه لقريب
(ولينصرن الله من ينصره . ان الله
لقوى عزيز) .

ورأى أن الجزيرة العربية ، وهى
منطلق الدعوة ، ومركز الاشعاع يجب
ان تكون خالية من كل عوامل الفتنة ،
وقد عرف أن اليهود هم دعائهم ،
والباعثون لها فى كل مكان فطهرها
منهم ، وكان أكثرهم فى خيبر وما
جاورها . لأنه قد بلغه أن النبى قال
عند موته : لا يجتمعن بجزيرة العرب
دينان : فلما ثبت عنده هذا الخبر
أرسل إليهم . ان الله قد أذن فى
جلائكم لأنه قد بلغنى أن النبى قال :
لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ! فمن
كان عنده عهد من رسول الله من
اليهود فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم
يكن عنده عهد فليتجهز لجلاء ، فأجلى
من لم يكن عنده عهد . خصوصا أنهم
قد بدعوا يتحرشون بالمسلمين عندما
كانوا يذهبون الى خيبر لتفقد أملكهم
التي غنموها منهم . كما فعلوا مع
عبد الله بن عمر فأنهم أصابوا يديه



أثر مرضك في

للاستاذ : علي القساضي

امتنا العربية في طريق نهضتها الكبرى ، وهي لذلك تعمل على تعبئة القوى لتسير في طريقها بكل قوة وكل أمة ناهضة تعتمد الى تعبئة الطاقات المختلفة فيها لاستثمار منابع القوى الكامنة في البلاد اذ عليها أساس نهوضها وبناء مجدها وترقية مستوى المعيشة فيها ، كما أنها تستطيع بذلك أن تنشئ مصانعها ومعاملها وأن تبرز الى الميدان الخارجي في كل ناحية من نواحيها فتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الأمم من الناحية الادبية ومن الناحية المادية على السواء . . والطاقة الحقيقية الاساسية هي الطاقة الانسانية ، وهي القدرة الانسانية على العمل والانتاج والتعاون بقدر ما لديهم من جهد على الاشتراك الايجابي في بلوغ الاهداف التي ترمى اليها البلاد . وقد حرص المستعمر دائما على تبديد هذه الطاقات الهائلة بكل ما أوتى من قوة فهو آتيا ينشر الفساد والانحلال وآتيا آخر ينشر المكيفات ومرة ثالثة يستعبد ويستعبد ويسجن ويعذب . . وهكذا يعمل جاهدا على تبديد هذه الطاقات الضخمة حتى يستطيع أن يسير في الطريق الذي يريد .

التعبئة العامة :

والامة التي تريد أن تنهض وأن تسير الى الامام بخطوات واسعة تعتمد الى التعبئة العامة ووسائلها في ذلك :

النَّعْبَةُ الْعَامَّةُ لِلْأُمَمِ

- ١ — أن تقوى صلة الفرد بالله بحيث يراقبه في كل خطوة .
- ٢ — وأن تبصره بحقوقه وواجباته .
- ٣ — وأن تفرس المسؤولية الاجتماعية في نفسه .
- ٤ — أن تشجع الكفايات وتكتلها وتبث روح التنافس المنتج بينها .
- ٥ — أن تراعى مبدأ تكافؤ الفرص .
- ٦ — أن تهتم بالتوجيه المهني والتوجيه التعليمي .
- ٧ — أن تحيط الطاقة الانسانية بالعناية وتصرفها في مجالاتها المفيدة حتى لا تبدد في مسالك عقيمة أو غير مشروعة .

أصناف الناس :

الناس كما نشاهد في حياتنا العامة أصناف شتى منهم من لا تموزهم القدرة على العمل والانتاج ولكنهم لا يرغبون في ذلك ، ومنهم من يرغب في العمل والانتاج ولكنهم سلبيون لا ينفذون ما يرغبون فيه ، ومنهم من يرغب في التنفيذ ولكنهم لا يستطيعون التعاون مع غيرهم ، ومنهم من يسرف في تبديد ما لديهم من طاقة فيما لا يعود عليهم أو على غيرهم بالنفع ، ومنهم من لا تموزهم القدرة على العمل والانتاج وهم يستغلون هذه الناحية بقدرة وكفاءة ولكنهم قليلون ، هل هذا طبيعي .. ؟

نعم وهذا طبيعى ، ذلك لأن النفس ميدان تتصارع فيه الميول المختلفة والدوافع المتنافرة .. وإذا لم تستطع الأمة أن توجه هذه النفس وأن تحولها الى الانتاج فانها تخسر كثيرا .. ومن هنا فاننا نجد علماء النفس يوصون بأنه ينبغي أن تأتى تعبئة الأمة من داخل النفس وذلك بمعرفة المنابع التى تحرك الناس وتحفزهم الى بذل الجهود وتسير بهم فى الطريق السليم الذى يوصلهم الى الانتاج والنجاح والى المتعة بهذا النجاح وأيضا بمعرفة الموانع التى تعطل الناس وتصددهم عن البذل والتعاون فتعمل على ازالة هذه الموانع المائعة وتجعل الطريق أمامهم ممهدا ميسورا .

معنى التعبئة :

التعبئة تنظيم نفسى داخلى يوفق بين الدوافع والنزعات المختلفة يقابله تنظيم اجتماعى خارجى يوفق بين الجهود المختلفة مع تحصين الناس والحيلولة دون أن تضع طاقاتهم هباء منثورا . وفى كل أمة طاقات مدخرة ويمكن استغلالها على أكمل الوجوه وأفضلها اذا راعينا ما يأتى :

صون هذه الطاقة والمحافظة عليها حتى لا تضيع :

ولكن ما الأشياء التى تبديد هذه الطاقة ؟
الواقع أن العامل الرئيسى الذى يقوم بتبديد هذه الطاقة هو الصراعات التى تقوم فى داخل نفس الانسان بين حقوقه وواجباته ، بين غرائزه ومبادئه ، بين ما تشتهيه نفسه وما يرتضيه المجتمع الذى يعيش فيه .. هذه الصراعات هى بمثابة حروب صغيرة أهلية تستنفذ طاقات الفرد ولا تترك له ما يستطيع به أن يؤدى واجبه نحو نفسه ونحو أمته ، وهذه المشكلات هى فى حقيقة الأمر صدى لما يقوم فى المجتمع الخارجى لأن النفس مرآة لما يدور فى المجتمع .. ولكل مجتمع مشكلاته الخاصة ، وهذه المشكلات تشتد فى مراحل الانتقال حيث يوجد الصراع بين القديم والجديد .. بشكل يختلف فى عنفه من مجتمع الى آخر .. هذا الى أن المدنية الحاضرة التى نعيش فيها قد زادت الصراع بين الناس من أجل لقمة العيش ، ثم ان الفرد فى ظل هذه المدنية قد زادت مطالبه زيادة كبيرة ، وهذه الزيادة تفوق طاقة المجتمع على ارضائها ، ولا تجد لها رصيذا روحيا يمكن أن يحدث التوازن فى النفس أو يبعث الرضا فى القلب

ومن هنا زاد القلق فى النفوس وظهر بين الناس الانطواء والعدوان . وكل هذا له أثر عميق فى ميدان الانتاج بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع كما أن له آثارا خطيرة فى صحة الناس الخلقية حيث ينعدم التعاون بين الناس ويقل الانتاج وتكثر المشكلات ولهذا يحاول كثير من الناس أن يهربوا من الواقع بالمخدرات أو غيرها ولهذا تكثر المشكلات الاجتماعية كالقتل والطلاق والانانية والخداع . والناحية الثانية التى يمكن بها استغلال طاقة الأمة المدخرة هى استثارة هذه الطاقة وإنماؤها وتنظيمها بجميع نواحيها الجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية ، وسأبين كل ناحية من هذه النواحي ..

الناحية الجسمية :

الجسم الضعيف لا يمكن صاحبه من العمل وقد يكون سببا مباشرا فى البعد به عن الكفاح المطلوب فيهرب به من العمل اخفاء لضعفه الجسمى ، والحيوية الجسمية من طبيعتها أن تبعث فى صاحبها التفاؤل والتحمس للعمل كما أنها تعين صاحبها على احتمال المشاق ، وهى بعد هذا كله سبيل الى الرجولة الذهنية واليقظة الفكرية ولا زلنا نسمع الحكمة القائلة (العقل السليم فى الجسم السليم) .

الناحية الفكرية :

الانسان السوى يفكر ويحكم على الأمور بنفسه .. حقيقة انه يستمع الى آراء غيره ويستشير من يثق فيهم ولكنه هو الذى يمحس الآراء ويرجح الراى الذى تسانده الحجة .

الناحية الخلقية :

من طبيعة كل واحد أن يحب نفسه ، ولكن الانانية الفردية يجب أن تحد ، والتواكل أيضا يجب أن يحد ، وينبغى أن توجه الجهود لصالح الجماعة ، والتربية السليمة تعنى بأن تكتسب الفضائل الانسانية عن طريق ممارستها بالنشاط الذاتى والخبرة الشخصية ، ويستدعى هذا الحرية والتوجيه .

الناحية الاجتماعية :

الانسان الصالح هو الذى يشعر بالروابط التى تربطه بغيره من الناس كما يشعر بالواجب الملقى على عاتقه نحو نفسه ونحو بلده ومهنته .. والناحية الاجتماعية فى حالتها القوية تجعل صاحبها يسيطر عليه هذا الشعور فيعمل فى جد ونشاط وحيوية لصالح الجماعة ناسيا مصلحته الخاصة بعيدا عن المسائل الفردية .. ويعمل فى فهم وتعاون واحتمال ..

يقول رجال التربية : وينبغى أن نعى بالتربية الوقائية والتربية الانشائية .. وينبغى أن تشمل التربية تربية الآباء والمدرسين والمفكرين والمشرعين ، كما ينبغى أن نعى بتربية الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة والمتأخرة وبالشباب والرجال والنقابات التى تتيح للرجل أن يعبر عن نفسه بالقول وبالفعل . ولكن كيف نربى ومن الذى يربى ، وعلى أى أساس يربى .. ؟

ويأتى رمضان المعظم فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخنا ليجيبنا على هذه الاسئلة التى تشغل بالنا :

الصوم فى حقيقته عملية تعبئة عامة للأمة الاسلامية لتجديد أبنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة حتى اذا ما احتيج اليهم فى يوم من الأيام بسبب الحرب الباردة أو الساخنة كانوا مستعدين استعدادا نفسيا واستعدادا جسميا .. ثم أن الصوم تدريب لهم على الصراع الاكبر صراع الحياة الدائم الذى يقابله كل انسان فى هذه الحياة وهذه التعبئة ليست تعبئة روحية فقط ولا جسمية فقط هذه الحياة ، وهذه التعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

ولا عقلية ولكنها تعبئة تشمل الروح والجسم والعقل .. وقد اختار الاسلام التدريب بطرق كثيرة من أهمها الصوم وهو تدريب على كل شئ فى الحياة لفترة من الوقت حتى يتعود على تحمل الامتناع الاجبارى عن شهواته وضروراته حين تحكم بذلك ظروف الحياة .

ان الطفل المدلل الذى تجاب رغباته كلها فى الحياة ينشأ شابا رخوا لنا لا يستطيع أن يقف على قدميه بل ان الرياح لتتقاذفه من كل جانب . ثم هو فى العادة الذى يصاب بالامراض وبالعقد النفسية وبدماء الحياة .

اننا ندرّب فى جيشنا العربى فرقا خاصة .. ذلك التدريب الذى يحدث آثاره القومية فى كل معركة نخوضها ، ولم يكن من المصادفة أن يفرض صوم رمضان فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد نفسى

وجسمى وعقلى لهو جندى حكم عليه بالفناء العاجل .. وان الشاب الذى يوضع لمقابلة صعوبات الحياة بدون اعداد لهو شاب فاشل فى ميدان الحياة . ومن هنا فرض الصوم كما فرض غيره من العبادات التى تهدف الى هذه الناحية لفائدة الفرد وفائدة الامة كلها ..

ورمضان بما له من قوة فى التربية يؤثر فى الانسان من جميع النواحي الروحية والجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية .

الناحية الروحية :

يهدف الاسلام فى كل خطوة من خطواته الى ايجاد الصلة القوية بين الله وعباده الصلة الدائمة التى تدفع القلب الى الرجوع فى كل لحظة الى الله تعالى .. والصوم — كغيره من العبادات — يعطى المسلم شحنة قوية روحية .. شحنة تدفعه الى العمل .. وما دام المسلم يهدف فى صلته الى الله فان فى ذلك الخير للناس جميعا لأن الله لا يقبل الا طيبا ، ولأن الله سبحانه وتعالى يطلب العدالة المطلقة بين عباده ويحب الخير للناس جميعا وعنده يتقرب بهذا كله اليه .. وصيام رمضان يعطى المسلم شحنة قوية فى الصلة بينه وبين الله تعالى يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فالهدف هو التقوى . تقوى الله عز وجل . والتقوى هى مراقبة الله فى كل الأمور . هى السير على النهج الذى أراده الله سبحانه وتعالى فلا غش ولا كذب ولا خداع بل محبة وتعاون وبناء . ويوضح الرسول الكريم بعض الامراض التى تنخر عظام الامة فيقول « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ومعنى هذا أن المقصود بالصيام أسمى من أن يكون تركا للطعام والشراب .. ويؤكد هذا الحديث الشريف « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » ومعنى هذا أن الصائم الذى لا يصوم كما ينبغى ليس له ثواب الصوم ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف مرة ثالثة بأسلوب القصر فيقول « ليس الصيام من الاكل والشرب انما الصيام من اللغو والرفث » . ويتدرج النبى الكريم فى هذه الناحية فيقول « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » .. ولما كان الصوم عبادة لا رياء فيها فان الله سبحانه وتعالى يجزى الصائم بلا حساب يقول الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » .

الناحية الجسمية :

والصوم اثر كبير فى الصحة الجسمية فانه ينقى الاخلاط الضارة التى تراكمت على مر الاعوام ، ويشفى امراض الامتلاء ، فالمعدة بيت الداء ، والجوع لا يعرض الانسان للمرضى ، ولكن الامتلاء المستمر يعرضه للأمراض المختلفة ، ولذلك فان الأطباء كثيراً ما يصفون الصوم للمرضى حتى يكون له الأثر الطيب فى صحتهم .

الناحية الفكرية :

والصوم يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك ، ولذلك فان العلماء القدامى كانوا يستفيدون من رمضان فى تأليفهم وكتابتهم . وكان انتاجهم فى هذا الشهر مضاعفا ولئن كنا على غير ذلك فان السبب هو أننا لا نسير فى رمضان على النهج الإسلامى الذى يفيد فى ناحية من النواحي .. بل أننا نتبع طريقة ترهق أجسامنا ونفوسنا وماليتنا .. طريقة هى الى المظهر أقرب وما أوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان الفائدة الكاملة .

الناحية الخلقية :

ورمضان يعطى المسلم فرصة ذهبية ليحرر نفسه من سلطان العادة سواء أكانت فى الطعام أو الشراب أو فى سلوك الانسان فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار وفى أى مكان .. يحرر نفسه بالمران وبالعزم الصادق ، وبهذا يقطع الانسان نفسه من أهوائها .. ولئن كان الكثير منا لا يستفيدون من رمضان هذه الفائدة فان العيب ليس فى الطبيب ولكن فى المريض الذى لا يطيع أمر الطبيب .

ورمضان يعلم الانسان الصبر فان الصوم نصف الصبر والصائم يكبح جماح نفسه حتى لو سابه أحد أو شتمته فان المطلوب منه أن يقول له انى صائم ، والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. والذى يفضب فى رمضان انتقته الاسباب هو الذى لم يفهم معنى الصوم ولم يتأثر به . وفى رمضان تقوى مراقبة الله تعالى بالصوم وبقراءة القرآن

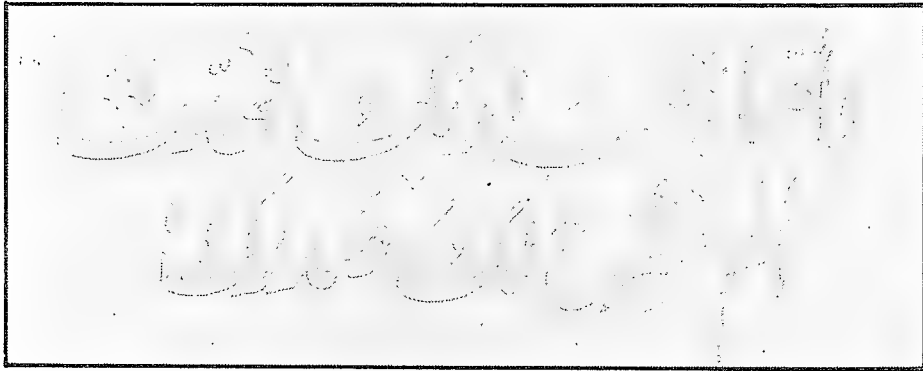
وبصلاة القيام ، والصائم يجد الجزاء القريب فى اللفتة القرآنية التى تأتى بين آيتى الصوم وهى قوله تعالى « وإذا سألك عبادى عنى فائى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » فهى لفتة موجهة الى أعماق النفس اذ يجد الصائم العوض الكامل عن مشقة الصوم والجزاء على الاستجابة فيها لله وهذا الجزاء تصوره الفاظ رقيقة فيها رقة هائلة « وإذا سألك عبادى عنى فائى قريب » أنه الجزاء الاوفى على الاستجابة والتمويض الكامل على طاعة الله . انه الخيط الذى يجذب الأرواح الى الطاعة فى يسر وسهولة وطواعية . وبهذا يكون المسلم مسلماً كاملاً فلا أنانية ولا حقد ولا غل بل حب وتعاون وعمل للمصلحة العامة واحساس بالقرب من الله تعالى وهكذا يمكن أن يؤدى صوم رمضان الى استغلال طاقات المسلم كلها الروحية والفكرية والجسمية والخلقية .

وإذا كانت هذه هى فوائد الصوم بالنسبة للفرد ، فان له فوائد أخرى بالنسبة للمجتمع ومن طبيعة الاسلام أن يعنى بالانسان ككل فهو يعنى به من ناحيته الفردية كما يعنى به من ناحيته الاجتماعية عضواً فى مجتمع .

فالمسلم يحس بالمساواة التامة بينه وبين جميع أخوانه المسلمين لأنهم يصومون فى وقت واحد ويفطرون فى وقت واحد الغنى والفقير ، الرجل والمرأة الكل سواسية فى الصوم ، وفى هذا كثير من الراحة النفسية بالنسبة للمسلم .

ورمضان يعطى الفرصة الكاملة للتعطف بين الأغنياء والفقراء لأن الغنى يحس باحساس الفقير فيعطف عليه . والاسلام حث على هذا التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان أكثر ، والتاريخ يحدثنا بأن النبى عليه الصلاة والسلام كان أجود من ريح المسك وكان أجود ما يكون فى رمضان .. وجعل الاسلام من تمام الصيام صدقة الفطر .

وهكذا يأتى رمضان ليجمع هذه الطاقات كلها ويوجهها الى الخير .. انه يجعل المسلمين يحسون بأن القوة الالهية تسندهم فتفتح أمامهم الآمال ويثقون فى أنفسهم وفى الله الذى ينادىهم « ولا تأسوا من روح الله » . ويؤدون واجبهم وينتصرون على عدوهم ويضربون المثل الانسانية لهذا العالم الحائر الذى يبحث عن منقذ ولن يجده الا فى المسلمين الذين يتمسكون بدينهم .



للاستاذ أحمد التاجي

لا تنصرف نفسه الى نوازع البشرية .
ثم كرر العملية عليه حين تلقى
الوحي : فخلق قلبه خلقا جديدا ،
ليتحمل الأمانة التي عجزت عنها
السموات والأرض والجبال .

فشرح الصدر عملية تشريح
وتشقيق وخلق شيء جديد (٢) .

★ ★ ★ ★

وقد جاء في السيرة اشارات
لحادثة شق الصدر حين كان النبي
صلى الله عليه وسلم طفلا يسترضع
في بني سعد . قوم حليلة .

نزلت آيات الانشراح عقب آيات
الضحى . فكان شرح الصدر بيانا
للنعمة التي أمر بها الرسول أن يحدث
بها نفسه دائما . لا يحدث بها الناس
ولكن ليذكرها دائما ويقرنها بالشكر
لربه .

وبعض العلماء يجعلون من
السورتين سورة واحدة (١) خوطب
بها النبي (صلى الله عليه وسلم)
وفيه عدد الله نعمه على عبده .
وكانت أشهر نعمه عليه أن شرح له
صدره .

ونرى أن في هذا اشارة الى عملية
الخلق التي أجراها في قلبه حتى
يصبح انسانا مهيا للنبوة من صفه ،

الانسانى جهاز خلقه الله للانسان كمصباح يضىء بقدرة محدودة ، ليساعده على العيش فى ارضه التى خلقها له ، ويحيا حياته المحدودة التى قضاها عليه . ويستمد هذا الجهاز قدرته المحدودة من حواس محدودة كذلك . فالعين مثلاً قد تبصر ميلاً ولا تستطيع أن تبصر ما وراء ذلك . وإذا حجبها حجاب من جدار أو غيره فلا تستطيع أن تخترق الحجاب ، وتبصر شبراً واحداً وراءه . وكذلك السمع ، والشم ، واللمس . تحس ولكنها ذوات قدرات محدودة .

والعقل يتلقى اشعارات هذه الحواس ، ويخترنها ويرتب نتائج محدودة أيضاً عليها . ولا يستطيع المحدود أن يدرك ما فوق المحدود . فلا يدرك شيئاً من الغيب ، أو ما حجب عنا من أرض وسماء .

وحين يكشف الانسان بعض المجاهل المحدودة بعقله وحواسه يرى قدرة الله أكبر من قدرته . فكلما ازداد الانسان علماً ومعرفة شعر بضآلة نفسه ، وعظمة ربه ، وخشيته أكثر من غيره من العباد : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

وعرف أنه الحق ، ولا حق غيره . « سرفهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (٤) .

★ ★ ★ ★

فلقد ظل الناس قروناً حيارى يتجادلون فى — حادثة شق الصدر ،

وكان هذا الخبر وأمثاله غريباً على الناس الذين يحكمون عقولهم وحدها فى نواميس الكون ويقولون : كيف يشق القلب ثم تخرج علقه من داخله ثم يخاط ويعود سليماً فى لحظات ويبقى صاحبه حياً بعد ذلك كله ؟ !

اذ كان منطق العلم يومئذ يقول : ان القلب هو العضو الذى لا تجرى فيه عمليات كما تجرى فى سائر الأعضاء ، والا تعطل وفارق صاحبه الحياة .

ونسى هؤلاء أن ما لا يستطيع الناس صنعه ، يصنعه الله بقدرته . وقد صنع الله الكثير من هذا للأنبياء ، وذكر قصصهم لنا فى القرآن .

فصنع لموسى وهو غلام صنعا ، حين أوحى الى أمه أن تلقى به فى البحر ، وتكفل الله بسلامته . ولولا قدرته تعالى لا ابتلعه اليم فى لحظة ! وجعل الله النار لإبراهيم برداً وسلاماً ، فسلبها خاصية الإحراق ، ومنحها نقيض طبيعتها !

وجعل الله من بطن الحوت مسكناً ليونس ، يتسع لصلاته وتسبيحه . ولو شاء لاتخذ طعاماً !

فلولا أن قص الله علينا ذلك فى كتابه الذى لا يأتىه الباطل ، لتنازعت عقول الناس فى تلك القصص ، والحقها قوم بالأساطير ، لأنها تفوق حوادث شق الصدر غرابية !

وهل نستطيع أن نجعل العقل ميزاناً نزن به قدرات الله (سبحانه) كما نزن به قدرات البشر ؟ ان العقل

وخرست السنة المتشدقين مرة
أخرى ، وبدعوا يعمدون النظر فيما
انكروه من معجزات الانبياء . ويفرقون
بين قدرة الانسان ، وقدرة الخالق
الذى يقول للشيء : كن فيكون .

★ ★ ★ ★

وقد ضرب الله مثلا لقصة العقل
البشرى المحدود بظواهر هذا الكون ،
ولا يدرك ما وراءه ، وقصة العقل
الموهوب بالمعرفة من الله ، المنطلق
عن ظواهر هذا الكون ، الذى لا يتقيد
بقيوده ولا يخضع لاسبابه — حين
قص حديث موسى وصاحبه فى
سورة الكهف . حين اصطحبا ومرا
بالسفينة والغلام والبنيان . وكان
موسى يرمز للعقل البشرى ، وكان
صاحبه قد أوتى من لدن ربه علما .
فهو يمثل القدرة الالهية التى تتخطى
نواميس هذا الكون . ولم يستطع
العقل البشرى أن يصبر على ما لا
يحيط به علما ، فتعجل الجدل ،
واعترض على كل صنع صنعه
العقل الموهوب ، وعرف أنه لا
يستطيع أن يسايره ، وأعطى المذر
لصاحبه أن يفارقه . ولكنه سأل أن
يفسر له سر ما صنع .

فانطلق العقل الموهوب يشرح له
أسرار أفعاله ، وختمها بقوله : وما
صنعتة عن أمرى ، أى هكذا صنع
الله . وهكذا شاعت قدرته . أن
يتخطى الاسباب الظاهرة الى أسباب
خفية لا يعرفها البشر .
فأسرار الكون لا يحل مغاليقها الا
صاحبها الذى خلقها :
« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا
هو ، ويعلم ما فى البسر
والبحر .. » (٧)

فمنهم من صدقها وهم الذين يعلمون
قدرة الله ، ويرونها فوق كل شيء ،
ومنهم من انكرها وهؤلاء العلميون
الماديون . اعتمادا على ما درسوه
من علوم الدنيا ، التى تقوم على
الظن ، ولا تتخطى ظاهر الكون .

« وان الظن لا يغنى من الحق
شيئا . » (٥) .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » (٦) .

★ ★ ★ ★

وتقدمت المعارف البشرية نوعا ما .
وجاء فى عصرنا هذا من استطاع أن
يشق القلب ويجرى به العمليات
الجراحية ، ويستبدل به آخر حين
يريد ، بشريا أو حيوانيا أو صناعيا .
ونجحت تلك الجراحات حينما ،
وأخطأت أحيانا !

فأخرس ذلك السنة المتعالمين الذين
انكروا هذا العمل من قبل ،
واستبعدوها على محمد رسول الله
الذى يهيئه ربه لأعظم رسالاته .

★ ★ ★ ★

كما استبعد هؤلاء وأمثالهم حديث
الاسراء ، وأن يكون النبى قد أسرى
به بجسده وروحه وعرج به الى
السموات العلى بجسده وروحه .
وتعلموا بجاذبية الأرض التى لا
ينفذ منها الانسان أبدا ، ثم بجسو
السماء الذى يخلق المتعالى فيه شيئا
فشيئا .

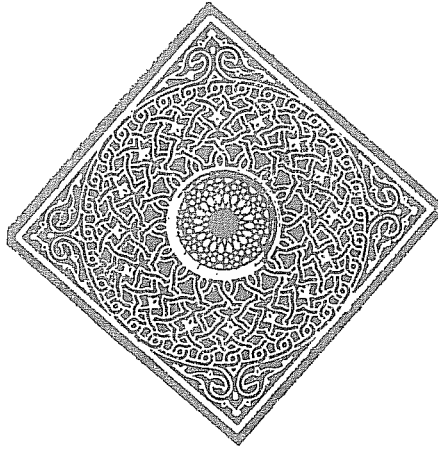
تعللوا بهذا وأمثاله حتى جاء عصر
الفضاء ، ورأينا الانسان يذل هذه
العقبات ، ثم يسبح فى الفضاء ،
ويسير على صفحة القمر ، ويستعد
للسفر الى الكواكب الأخرى .

« وما أوتيتهم من العلم الا قليلا » . (٨) .
لهذا كان الايمان بالغيب ، وما لا تحيط به عقولنا القاصرة ضرورة .
وبهذا جاءت رسالات الانبياء .

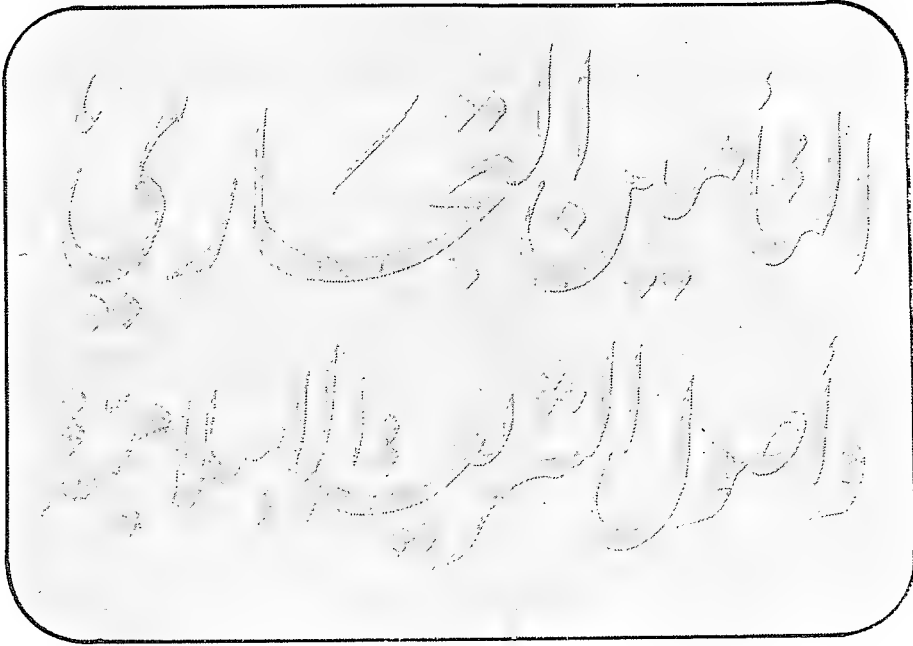
★ ★ ★ ★

وقد ذكرت في مقال آخر ان قلب الرسول صلى الله عليه وسلم كان الموضع الذي اجريت فيه عمليات الخلق الجديد حين نزل عليه : اقرأ باسم ربك الذي خلق .
وحين اراد ان يسرى به في ملكوته صار النبي يرى ويسمع بفؤاده ما يجري في الماء الاعلى قال تعالى :
« ما كذب الفؤاد ما رأى » (٩) .
فلم تكن عينه التي ترى . ولا

سمعه الذي يسمع . لان ما وراء هذا العالم لا تدركه الحواس التي خلقت للارض وحدها . فكان من الضروري ان يرى ويسمع بقلبه ، وان تنطبع في نفسه تلك الصور . فيدركها بفؤاده اللطيف ، الذي لا يكذبه ابدا .
وعملية خلق القلب ذلك الخلق الجديد ، حتى يحيط بها ثم يحط به الناس ، ويمضي على الفطرة السليمة حتى لا ينحرف كما ينحرف سائر البشر ويدرك من اسرار الكون ما لا يدركون — تلك هي النعمة الكبرى ، التي انعم الله به على رسوله ، وذكره بها في قوله تعالى :
« وأما بنعمة ربك فحدث . الم نشرح لك صدرك ؟ ! »



-
- | | |
|---|---------------------|
| (١) روى ذلك عن طاوس . وعمر بن عبد العزيز : تفسير النيسابوري . | (٥) النجم : ٢٨ |
| (٢) في القاموس المحيط . شرح ، وشرح بتضعيف الراء بمعنى واحد . | (٦) الروم : ٦ ، ٧ . |
| (٣) فاطر : ٢٨ | (٧) الانعام : ٥٩ |
| (٤) فصلت : ٥٣ | (٨) الاسراء : ٨٥ |
| | (٩) النجم : ١١ |



للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

الحياة لا تخلو من كوارث ومخاطر تصيب الإنسان في شخصه كالموت والمرض أو في ماله كالحريق والهلاك والتلف ومسئوليته عن خطئه . . الخ وتتزايد هذه الكوارث والمخاطر وتتنوع في العصر الحديث بتنوع استخدام وسائل المدنية الحديثة كالسيارات والآلات والأجهزة السلكية واللاسلكية ويتخذ أكثر الناس وسائل للوقاية من هذه الكوارث وتلك المخاطر كالتطعيم ضد الأوبئة والعلاج من المرض والتوسع في استخدام وسائل الأمن الصناعي لحفظ الأموال والأشخاص من الهلاك أو التلف وتنظيم استخدام وسائل المدنية الحديثة بما يكفل أكبر قدر من الأمن

١ - عقد التأمين التجاري من العقول المستحدثة التي اختلف فقهاء هذا العصر حول حكم الشريعة الإسلامية فيها . ولكل رأي من آراء هؤلاء الفقهاء دليله ، وفي هذا المقال وما يليه من مقالات ، نعرض - أن شاء الله - هذه الأدلة على أصول الشريعة الإسلامية ، سواء أدلة من أجازوه أو أدلة من حرموه ، لنعرف مدى صحة الاستدلال بهذا الدليل أو ذاك ، عسى الله عز وجل أن يهدينا إلى أصوب رأي فيه .

فدوا فذكركم

٢ - ان انصار التأمين يذكرون أن

من الوسائل المشروعة حتى ندعو
الذين آمنوا الى اتخاذها كسبب من
اسباب الحذر ؟ هذا امر لم يثبت بعد ،
لأن فريقا من العلماء ينازع فى شرعية
التأمين (٣) . وبالتالى اذا أريد
الاستدلال بالآية سالف الذكر على
جواز التأمين التجارى شرعا ، فيجب
أن يثبت قبل ذلك أن التأمين وسيلة
يقرها الشرع ، والا كان الاستدلال
بهذه الآية غير كاف .

القضاء والقدر

٣ - وقد لاحظ فريق ممن حرم
التأمين أنه مهما اتخذ الناس من
وسائل للحيلة ضد وقوع الكوارث
والمخاطر ، فانه لا يفنى حذر من قدر
والماتل فى حياة اشد الناس حيلة
وحرصا وحذرا لا بد أن يؤمن بالقضاء
والقدر . وقدر الله هو سننه
ونواميسه فى الكون ، وقضاؤه هو
انفاذه القدر أى ايجاده الكائنات
وتسييرها وفق ما قدره سبحانه .
قال تعالى : « انا كل شىء خلقناه
بقدر . وما أمرنا الا واحدة كلمح
بالبصر » (٤) وقد استدل هؤلاء
الفقهاء (٥) بهاتين الآيتين وأمثالهما فى
القضاء والقدر على تحريم التأمين .
ووجهة نظرهم تتلخص فى أن التأمين
انكار للقدر ، أو هو على الأقل تحد
لقضاء الله وقدره واجترأ عليه بينما
لا يملك أحد أن يمنع قضاء الله
وقدره .

واذا عرضنا الاستدلال السابق
على أصول الشريعة الاسلامية ،
نجد أنه استدلال غير صحيح ، لأن
التأمين ليس انكارا للقدر وانما هو
اعتراف به ومحاولة للتخفيف من آثاره
لأنه ليس ضمانا لعدم وقوع الخطر
وانما هو ضمان لجبر الضرر الذى

فيها . . . الخ . والتأمين من الوسائل
الحديثة للوقاية من الأخطار التى قد
تنتج عند موت شخص أو هلاك ماله
أو ثبوت مسئوليته حيث يجبر مبلغ
التأمين الذى يحصل عليه المؤمن له
أو المستفيد ما قد يلحقه من ضرر
الكوارث والمخاطر المؤمن منها .

واذا كان التأمين التجارى من
وسائل جبر ضرر الكوارث والوقاية
من الأخطار كالانفلاس والضياع
وغيرها ، فقد ساق بعض من أجاز
التأمين (١) دليلا شرعيا على جوازه
هو قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذرکم » (٢) ووجه الاستدلال
بهذه الآية أن المؤمن له بعقده التأمين
يأخذ حذره من غوائل المستقبل ، وقد
دعنا الآية الى الأخذ بأسباب الحذر
ايا كانت ، والتأمين من أسباب الأخذ
بالحذر ، فيجوز شرعا .

واذا عرضنا الاستدلال سالف
الذكر على أصول الشريعة الاسلامية
لوجدنا أن هذا الاستدلال غير كاف
للقول بجواز التأمين التجارى شرعا ،
فهو استدلال قاصر . ذلك أن الآية
سالف الذكر وردت للحذر من العدو .
عند قتاله ، والمراد منها خذوا سلاحكم
حذرا أو احذروا عدوكم .

واذا كانت الآية قد نزلت بخصوص
الحذر من الأعداء ، الا أنه ليس هناك
ما يمنع من أن تكون عامة فى اتخاذ
اسباب الحذر من أى خطر ، لأن
العبرة بمعوم اللفظ لا بخصوص
السبب ، وقد وردت الفاظ الآية عامة
« خذوا حذرکم » دون تخصيص لذلك
بخطر معين . ومع ذلك لا يكفى
الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين
شرعا ، لأن الآية تخاطب الذى آمنوا
باتخاذ اسباب الحذر ، هؤلاء لا يتخذون
الا وسائل مشروعة تتفق مع أحكام
الشرع ، فهل ثبت أن التأمين وسيلة

النفوس وكبح جماحها ، وقدر ثالث
يمكن للإنسان دفعه بقدر آخر كأعداء
الدين تقاومهم فندفع قدرنا بقدر (٨) .
وهكذا ننتهى الى أن التأمين التجاري
ليس فيه انكار للقدر ولا تحد له ، وأن
الاستدلال بآيات القضاء والقدر على
تحريره استدلال غير صحيح لا يتفق
مع أصول الشريعة الإسلامية
الغراء .

التوكل على الله

{ — لا شك أنه يجب على كل
مسلم أن يتوكل على الله ، فهل فنى
التأمين ما يتنافى مع التوكل على
الله عز وجل ، أو أن فيه توكلا عليه
سبحانه .

قد يبدو أن التأمين يتنافى مع
التوكل على الله عز وجل ، فالمؤمن له
لا يعتمد على الله عز وجل فنى دفع
ما قد يلحق به من ضرر ، وإنما يعتمد
على المؤمن الذى سيدفع له مبلغ
التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ،
وقد قال تعالى : — « . . وليس
بضارهم شيئا الا باذن الله ، وعلى
الله فليتوكل المؤمنون » (٩) .

وقد يبدو أن التأمين فيه توكل على
الله عز وجل ، اذ يصدق عليه قوله
صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل »
لأن المؤمن له لا يترك نفسه أو ماله
نهبا للمخاطر التى قد تلحق به وإنما
يحتاط لنفسه بالتأمين ثم يتوكل على
الله عز وجل .

والصحيح أن التوكل على الله عز
وجل هو الاعتماد على رب الأرباب مع
عدم التقريط فى الأخذ بالأسباب . وقد
انقسمت الخلائق بالنسبة الى التوكل
على الله عز وجل الى ثلاثة أقسام
(١٠) قسم أهمل الأسباب واعتمد على
قدرة الله تعالى . وهذا تقريط وسوء

يحدث عند وقوع الخطر المؤمن منه .
فمن يؤمن حياته ضد الموت أو يؤمن
بضاعته ضد الغرق أو الحريق يعترف
بالقضاء والقدر ويخشاه ويسمى
للتخفيف مما قد ينتج عنه من أضرار .
وقد شبه بعض الفقهاء (٦)
التأمين بسفود الصاعقة ،
وهو القضيب الحديدى
الدقيق الرأس الذى يوضع فى قمم
المآذن أو المباني العالية ، فهو لا يمنع
الصاعقة ولكنه يخفف من أثرها اذ
يتلقى شرارتها ويحولها الى جسمه
حتى تتلاشى ، وليس فى وضعه فى
قمم المباني العالية تحد لارادة الله عز
وجل أو انكار للقدر ، بل فيه اعتراف
بقضاء الله وقدره . من جهة أخرى
تجد المؤمن يعتمد على حساباته لوقوع
الخطر على علم الاحصاء ، ليعرف
نسب الوفيات ونسب الحرائق ونسب
حوادث السيارات وغير ذلك من
المخاطر التى يقبل التأمين عليها . وقد
ثبت على علم الاحصاء أن الكوارث فى
الكون لا تحدث جزافا ، وأن القضاء
والقدر وإن كان مفاجئا لشخص معين
الا أن له ضوابط بالنسبة للكون كله .
وقد سبق القرآن الكريم الى بيان هذه
الحقيقة حيث قال تعالى فيه « وكل
شيء عنده بمقدار . عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال » (٧) .
واعتماد المؤمن على ذلك وسعيه
لمعرفة نسب الحوادث إنما هو إيمان
بالقضاء والقدر واعتراف به . ويمكن
القول بأن الاتفاق على عقد التأمين
إنما هو اتفاق على التخفيف من آثار
القدر ، أو هو اتفاق على دفع قدر بقدر
فالقدر يمكن تقسيمه الى ثلاثة أنواع :
قدر يستحيل على الإنسان دفعه
كالموت ، وقدر يمكن التخفيف من آثاره
كغريزة حب الذات فهى قدر غالب
لكن يمكن التخفيف من آثاره بتهذيب

بها للقول بجواز التأمين شرعا أو
بتحريمه .



وهكذا تنتهى ، الى أن التأمين
التجارى اذا كان سببا من أسباب
الأخذ بالحذر فليس فى هذا دليل
كاف على جوازه شرعا ، كذلك لا يصح
القول بأن فيه ما يتنافى مع قضاء
الله وقدره للاستناد الى ذلك فى
تحريمه ، فقد رأينا أنه اعتراف بقضاء
الله وقدره ومحاولة للتخفيف من آثاره
ليس فيها أى تحد لارادة الله عز
وجل . كذلك انتهينا الى أن التأمين
التجارى لا شأن له فى ذاته بالتوكل
على الله أو عدم التوكل عليه ، فمرجع
ذلك الى النية .

الأمر بالوفاء بالعقود .

هـ — من المعروف أن التأمين عقد
يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى
المؤمن له أو الى المستفيد الذى
اشتراط التأمين لصالحه مبلغا من المال
أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالى آخر
فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر
المبين بالعقد ، وذلك فى نظير قسط أو
أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له
للمؤمن الذى يأخذ على عاتقه مجموعة
من المخاطر ويجرى بينها مقاصة طبقا
لقوانين الاحصاء .

ومن المعروف كذلك أن الله عز
وجل أمرنا بالوفاء بالعقود . قال
تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا
بالعقود » (١٢) .

وقد استدل بعض من أباح التأمين
(١٣) بالآية سائلة الذكر على جوازه
شرعا . ووجه الاستدلال أن لفظ

أدب مع الله تعالى لأنه سبحانه رتب
المسببات على الأسباب . وقسم آخر
اتخذ الأسباب وأعرض عن الاعتماد
على رب الأرباب ، وهذا ادعاء بالعلم
لا محل له لأنه ينقصه الايمان بمسبب
الأسباب ، وكما من أسباب اتخذت
ولم تترتب عليها نتائجها ، مما يدل على
أن هناك ارادة أخرى تتدخل فى
ترتيب هذه النتائج هى ارادة الله
تعالى . والقسم الثالث جمع بين
اتخاذ الأسباب والاعتماد على رب
الأرباب ، وهذا هو التوكل بحق على
الله عز وجل .

والتأمين يتخذ سببا لجلب منفعة أو
دفع مضرة ، فالمؤمن له يتخذ سببا
لجلب منفعة حاضرة بادخار ما فاض
معه من نقود فى صورة أقساط التأمين
أو لجلب منفعة مستقبلية ليعود به هو
أو ورثته الى مركزه المالى قبل تحقق
الخطر اذا حل به هذا الخطر . كما
قد يتخذ المؤمن له سببا لدفع ضرر
حاضر كالقلق والخوف من وقوع
الخطر المؤمن منه أو لدفع ضرر
مستقبل عند وقوع الخطر بقبض مبلغ
التأمين لجبر ما لحقه من ضرر (١١) .
واذا كان التأمين اتخذا للأسباب ،
فقد يكون فيه توكلا على الله عز وجل
وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على
رب الأرباب فى دفع الخطر وفى
أمل الحصول على مبلغ التأمين أن
تحقق الخطر ، كما أن التأمين قد يخلو
من التوكل على الله وذلك اذا اعتمد
المؤمن له فيه على المؤمن ولم يعتمد
فيه على الله عز وجل . فالأمر يتوقف
على علاقة المؤمن له بربه ونيته عند
التأمين ، ولا شأن لنظام التأمين فى
ذاته بالتوكل على الله . جل وعلا .
وبالتالى لا يصلح الاستناد الى آيات
التوكل على الله والأحاديث المتصلة

المعقود في الآية الكريمة لفظ عام ، فيشمل عقد التأمين وغيره من المعقود ولو لم يشملهم وكان محظورا لبيّنهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة . والشارع هنا في الآية الكريمة كان في مقام البيان لا الإجمال ، بحيث لم يبين يكسبون العموم مراداً ويدخل عقد التأمين تحت شمول كلمة المعقود .

والحجة السابقة غير سليمة في الاستدلال على جواز التأمين شرعاً ، كما أنها غير كافية للقول بمشروعيته . فليس صحيحاً أن الآية الكريمة عامة في وجوب الوفاء بكل عقد ، لأنه لا يعقل أن تأمر الآية بالوفاء بعقد القمار مثلاً أو عقد الربا أو غير ذلك من المعقود المحظورة ، فدل ذلك على أن لفظ المعقود فيها ليس لفظاً عاماً وإنما هو لفظ مجمل ، وقد فسرت هذا اللفظ المجمل آيات أخرى كما فسر سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومما يؤكد أن لفظ المعقود في الآية سالفة الذكر لفظ مجمل ، أن سياق هذه الآية يدل على أن الشارع كان في مقام الإجمال لا البيان ، فهو سبحانه لم يذكر الآية لبيان المعقود الجائز وإنما أجمل ذلك ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد » (١٤) . وهذه كلها آية واحدة ، والوفاء بالمعقود شطر منها ، مما يدل على أن لفظ المعقود هنا لفظ مجمل .

وقد فسر الشارع لفظ المعقود المجمل هنا فبينه في آيات أخرى ، كما فسر الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان المعقود المنهى عنها . فالله عز وجل في آيات أخرى نهى عن عدة

عقود كالعقد على الربا والعقد على الخمر والعقد على لحم الخنزير والعقد على الميسر (القمار) . الخ . كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن عقود أخرى كعقود الغرر وبيع حاضر لباد وبيع النجش وبيع الحصاة وبيع الملامسة وبيع المنابذة وغير ذلك مما هو محظور في الشريعة الإسلامية وهذا النهى عن بعض العقود يدل على أن لفظ المعقود الوارد في الآية ليس لفظاً عاماً وإنما هو لفظ مجمل . كما يدل هذا النهى على أن المراد بالمعقود في الآية سالفة الذكر هو العقود الخالية من المحظورات . يؤكد ذلك أن الآية تخاطب الذين آمنوا ، وهم من صدقوا بكل ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (١٥) .

ولا يلزم أن يصرح الشارع بكل محظور تفصيلاً بجميع أنواعه ، إذ يكفي أن يضع الشارع القساسة . لنستنبط منها ونقيس عليها . فالله سبحانه مثلاً نهى عن الميسر فدخل فيه كل نوع منه ما كان من قبل وما يستحدث فيه ، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر فدخل فيه ما كان منه وما يكون فيه بعد ذلك . . وهكذا . وبالتالي لا يصح القول بأن التأمين لو كان محسوراً لبيّنهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع لنا القواعد وبلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلينا أن نطبق هذه القواعد لنسرى هل التأمين جائز شرعاً أم هو محظور؟ ومن المعروف أن فريقاً من الفقهاء يرى أن تطبيق هذه القواعد يؤدي إلى القول بأن التأمين فيه ربا وغرر وجهالة ومخالفة لقواعد الميراث والوصية مما هو محظور .

وطالما انتهينا الى أن لفظ العقود في الآية الكريمة سالف الذكر ، ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وأن الشارع قد فسر هذا اللفظ المجمل بأن المراد منه هو العقود التي استوفيت الشروط والأركان وخلفت من المحظورات ، فانه إذا أريد الاستدلال بهذه الآية على وجوب الوفاء بعقد التأمين وجوازه شرعا ، فانه يجب قبل ذلك أن يثبت أن عقد التأمين قد استوفى ما نصت عليه الشريعة الإسلامية من أركان وشروط وخلا من المحظورات ، وهو أمر لا زال محل نزاع بين العلماء ، وبالتالي كان الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا استدلالا غير كاف .

استحداث عقود في الإسلام

٦ — ذهب بعض من حرم التأمين (١٦) الى أن العقود الجائزة في الإسلام واردة على سبيل الحصر ، وأن عقد التأمين ليس من العقود المعروفة في صدر الإسلام ، فلا يكون عقدا جائزا شرعا ، على أساس أن الإسلام — في نظر هذا الفريق من الفقهاء — لا يجيز أحداث أي عقد لم يكن معروفا في صدره ، لأنه جاء كاملا ولأن إضافة عقود أخرى إلى العقود المعروفة في شريعته معناها أحداث تشريع جديد بدون استناد . ويكاد يكون هذا الرأي رد فعل على نقض الرأي السابق الذي ينادى بأن الوفاء بالعقد يشمل كل عقد فيشمل عقد التأمين ! وكان هذا الرأي يذهب الى أن المقصود بالعقد في آية سورة المائدة سالف الذكر هو العقود المعروفة في صدر الإسلام ! والصحيح أن الزعم بأن الإسلام لا يجيز أحداث أي عقد لم يكن معروفا

في صدره ، انما هو دعوى بلا دليل .

وإضافة عقد جديد الى العقود المعروفة في صدر الإسلام لا يعني أحداث تشريع جديد دون استناد ، لأن العقد الجديد قد يتفق مع أصول الشريعة الإسلامية وقد يختلف معها . فإذا كان العقد الجديد لا يتعارض مع أصول الشريعة وأحكامها فهو خاضع لما شرعه الله ورسوله وليس فيه تشريع جديد دون استناد ، لأنه يستند الى الأصول العامة للشريعة الفراء أما إذا كان العقد الجديد يختلف مع أصول الشريعة وأحكامها فهو مردود لأنه لا يستند الى شيء من هذه الأصول ولا تلك الأحكام . فالأمر يتوقف على مدى اتفاق العقد الجديد مع أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها . وبالتالي إذا كان عقد التأمين عقدا جديدا فهل يتفق مع أصول الشريعة وأحكامها فيكون جائزا شرعا أم يختلف معها فلا يجوز شرعا ؟ هذا أمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

واستحداث عقد جديد لا ينتقص من كمال الإسلام شيئا ، لأن كماله يتأتى من أن قواعده فيها ما يحكم على كل جديد ، لا أن قواعده صرحت بكل صغيرة وكبيرة فيمتنع الجديد ، وبالتالي للناس أن يتعارفوا على أنواع جديدة من العقود ، وعلى الفقهاء عندئذ استنباط حكم الإسلام في هذه العقود الجديدة . (١٧) .

وطالما انتهينا الى أنه يجوز استحداث عقود جديدة في الإسلام ، إذا كانت هذه العقود لا تتعارض مع أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها فانه يتضح أن لفظ العقود في الآية الأولى من سورة المائدة لا يقتصر على العقود المعروفة في صدر الإسلام

وانما يشمل ما يسندحدث بعد ذلك طالما استوفى الشروط والاركان وخلا من المحظورات .

الأصل هو الاباحة

٧ — أن مريفا آخر من الفقهاء (١٨) استدلى على « التأمين شرعا بأن الأصل هو « ما لم يثبت في الأرض جميعا » ، طالما خلق الله عز وجل لنا في الأرض جميعا لنتنفع به ، فان الأصل في معاملات الناس فيما خلقه الله لمنفعتهم هو الاباحة . وبالتالي فان الأصل في عقد التأمين

وهو معاملة وشروط هو الاباحة ، فيكون عقدا جائزا شرعا بهذا الاعتبار .

والاستدلال سالف الذكر غير كاف ، لانه اذا كان الأصل في العقود والشروط هو الاباحة (٢٠) ، فذلك اذا لم يثبت أن العقد أو الشرط لا يتعارض مع أصول الشريعة الاسلامية واحكامها . فهل ثبت ذلك في عقد التأمين حتى نستدل على جوازه شرعا ؟ الأمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

والى مقال تال نستكمل الجزء التالي من هذا البحث ان شاء الله تعالى .. !!

- ١) على قارعة الطريق وتداويه من المرضى ، فهو اتخاذ للأسباب لحفظ موجود أو جلب منفعة أو دفع ضرر لم ينزل به أو نزل .
- (١٢) من الآية الاولى من سورة المائدة .
- (١٣) على آل كاشف الغطاء في بحثه المقدم لجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
- (١٤) الآية الاولى من سورة المائدة .
- (١٥) أحمد النجدي في رسالته « عقد التأمين بين الشريعة والقانون » ص ٢٨ .
- (١٦) عبد الستار السيد وفخر الدين الهنسي من علماء سوريا في بحثهما لجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
- (١٧) مصطفى الزرقا والصادق الضير في أسبوع الفقه الاسلامي بدمشق ١٩٦١ م ص ٣٨٨ و ٤٣٨ على التوالي . ومحمود قاسم بعيون في بحثه لجمع البحوث الاسلامية . واحمد الخريصى ، في بحثه لجمع البحوث الاسلامية .
- (١٨) عبد الرحمن عيسى في أسبوع الفقه الاسلامي بدمشق ١٩٦١ م ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ — ٤٧٨ .
- (١٩) من الآية ٢٩ سورة البقرة .

- (١) محمد وصفي في مقال له ببجلة مثير الاسلام س ٢١ عدد ١٢ .
- (٢) من الآية ٧١ من سورة النساء .
- (٣) أحمد النجدي في « عقد التأمين بين الشريعة والقانون » رسالة على الآلية الكاتبة ص ٣٢٨ .
- (٤) الأيتان ٤٩ و ٥٠ سورة القمر .
- (٥) أحمد الخريصى في بحث له لجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
- (٦) مصطفى الزرقا في أسبوع الفقه الاسلامي بدمشق ط ١٩٦١ م ص ٤٠٠ و ٤٠١ .
- (٧) الأيتان ٨ و ٩ سورة الرعد .
- (٨) على الخفيف في بحثه المقدم لجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ص ٢٦ واحمد النجدي في رسالته المرجع السابق ص ٣٣٩ ..
- (٩) من الآية ١٠ سورة المجادلة .
- (١٠) زاد المعاد ٢ ص ١٤ .
- (١١) قطان الدروى في رسالته عن التأمين ص ١٤٢ ويرى أن سعى المؤمن له لجلب النفعة يشبه سعيه لادخار مائضى معه من نقود وكافائه الحبة في الارض لتخرج زرعاً ، وسعيه لدفع ضرر يشبه عدم نومه

حول ولاية الحرب على النفس في

للاستاذ : محمد عزة دروزة

وأنا أشاركة في ما جاء في تهديدات
مقاله من تنبيهات وانتقادات وملاحظات
فيها سداد . وفيها دفاع عن الشريعة
الاسلامية وايجاب الالتزام بها وعدم
تهاون الحكومات الاسلامية في ذلك
واستبدال النظم والاتجاهات الغربية
بها وجعلها متأثرة بها .
وبيت القصيد في مقاله هو ما

قرأت المقال المتع للدكتور محمد
البهي في عدد جمادى الاولى من مجلة
(الوعي الاسلامي) بالعنوان الذي
عنونت به هذا المقال .
وأنا أعترف بأن الدكتور عالم متمكن
واقدر عمله وفضله . واعرف أن عمله
وتمكنه مما يجعل لكتاباته قوة وأثرا
في القارئ ويوجب عليه احترامه .

حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .. » البقرة ٢٢٩ .

٢ - « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكنوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم .. » البقرة ٢٣١ .

٣ - « وأن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا » (١) النساء ٣ .

٤ - « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن (٢) لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن منتظارا فلا تأخذوا منه شيئا تأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .. » النساء ١٨ - ٢٠ .

٥ - « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون

عنفون به المقال وعنوننا به مقالنا . ولقد بدأ كلامه بقوله (وإن حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه في الطلاق وفي تعدد الزوجات وتجعل للقاضي بدلا منه حق الترخيص بهذين الأمرين تكون قد سارت بالعلمانية أو فصل الدين عن الدولة إلى نهاية الشوط في شئون الأسرة وبالتالي إلى ترك الإسلام كلية وإبعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد إلى خصوصياتهم) ثم أخذ يعرض آيات الطلاق وتعدد الزوجات ويشرحها وينبه على ما فيها من تقرير لكون الرجل هو صاحب الولاية فيهما وحسب دونما استدراك أو استثناء .

واعتقد أن هذا يتحمل كلا ما جديرا بالتأمل . واني أعجب أن يكون الدكتور الألمى قد فاتته ذلك .

فاولا : ليس من أحد يستطيع أن ينكر أن كثيرا من المسلمين في مختلف الحقب أساءوا وما يزالون يسيئون استعمال ولايتهم على أنفسهم في الطلاق وتعدد الزوجات . وأن ذلك قد بلغ حد الظلم وادى وما يزال يؤدي إلى فواجع ومآس اليمية محزنة .

وثانيا : أن في القرآن آيات تلهم أن أساء استعمال تلك الولاية والوقوع في اثم ذلك متوقع كما تفيد هذه الآيات :

١ - « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما في ما افتدت به تلك

خبيرا . ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان عفورا رحيمًا . وان يفرقا يغن الله كلا من سعته . وكان الله واسعا حكيما .. »
النساء ١٢٨ - ١٣٠ .

٦ - « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا » الطلاق ١ و ٢ .

ثالثا : ان اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق تكمن فى حالتين . الأولى ان يندفع بنزواته وانفعالاته فيسرع فى استعمال هذه الولاية بدون ترو وتدبر ولا تقفه الأسباب مما يؤدى الى ظلم وشقاء الزوجية والأولاد وانهدام الحياة الزوجية وتحقق المآسى والفواجع . فى حين ان الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله كما وصفه رسول الله (٣) انها ابيح من أجل الفراق الذى لا يكون مناص منه بعد استنفاد بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة كل الوسائل التى أمر الله من معاشرة بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة الكراهية وعدم الفضل للابتزاز وبذل الجهد للإصلاح والصلح كما جاء فى آيات النساء ١٨ - ٢٠ و ١٢٨ - ١٣٠ التى أوردناها آنفا ، وكما جاء فى آية سورة النساء هذه (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا

اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليهما خبيرا) ٣٥ ، ثم من مراجعة مرة بعد مرة وحث على العودة الى الزوج فى حال غلبة الظن بالصلاح والاصلاح كما جاء فى آيات البقرة هذه (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ويعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا) ٢٢٩ ، وهذه (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ٢٣٣ ، وأصبح الوسيلة الوحيدة لخلاص الزوجة من الشقاق والشقاء .

والحالة الثانية : ان يكون تمسك الزوج بولايته بقصد الابتزاز والاعتداء والمكيدة والاضرار الذى نهبت عليه آيات البقرة ٢٣١ والنساء ١٨ مع الشذوذ عن المبدأ القرآنى المحكم الذى أقام الله عز وجل عليه الحياة الزوجية الرضية وهو الامسك بالمعروف أو التسريح باحسان كما جاء فى الآيتين ٢٢٩ و ٢٣١ من البقرة والآية الثانية من سورة الطلاق فيتحقق بذلك الظلم وتفقّد المودة والرحمة اللتين جعلهما الله اساسا للحياة الزوجية كما جاء فى آية سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .. (٢١) .

وفى صدد اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى تعدد الزوجات نقول ان الله قد نبه فى آية النساء (٣) ان التعدد مظنة الجور وعدم العدل . ونبه فى آية النساء (١٢٩)

ان العدل غير مستطاع . ونبهه فى الآية (٣) ، بناء على ذلك على أن الأولى للمسلم ان يكتفى بزوجة واحدة . واذا كان الله سبحانه لم يخلق الباب فلانه يعلم ان طبيعته الحياة تقتضى بقاءه مفتوحا وقاية للرجل من إثم الزنا أو ضرر الحرمان والكبت أو تحقيقا للرغبة فى البنين من حيث أن تكون زوجته الأولى مريضة مرضا مانعا أو عجوزا أو غير مشتهة أو عاقرا أو من حيث اضطرابه الى غياب طويل الخ الخ وقد ابقى الله الباب مفتوحا فى ظل التنبيهات والتحذيرات المذكورة وفى ظل ما يكون من قدرة على الانفاق التى هى من صور وواجبات العدل المطلوب . واساءة استعمال هذه الرخصة تكون فى اندفاع الرجل وراء شهواته ونزواته فى حين يكون عنده زوجة مغنية منجبة . وتكون كذلك فى عدم القدرة على الانفاق . وعدم المبالاة بالعدل بين الزوجات والأولاد فتتحقق بذلك المآسى والفواجع فى الشقاق والشقاق والضياح والمداوة بين الأخوة والأخوات والزوجات الخ .

رابعاً : ان المتبادر الذى لا يصح ان يتبادر الى ذهن غيره هو أن الدعوة الى ايجاب جعل الطلاق وتعدد الزوجات منوطين بالقضاء قد هدفت الى الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى هاتين المسألتين وتلافى ما يمكن أن يؤدى ذلك اليه من ظلم وفواجع ومآس . ونهتف بكل قوة ونقول ان الله عز وجل لا يمكن أن يرضى عن اساءة استعمال شرعه وما يمكن أن ينتج عنها من ظلم ومآس وفواجع وشقاق . وان حكيمته وعدله ليأبى أن يقول أحد إنه لا يجوز مس ولاية المسلم

على نفسه فى الطلاق وتعدد الزوجات ولو شذ عن المبدأ القرائى المحكم الامساك بالمعروف والتسريح باحسان ولو تمسك بزوجه لضررها والاعتداء عليها وابتزازها . ولو كان فظا غليظ القلب فاحش اللسان طويل اليد بالضرب والأذى . ولو كان مندفعاً وراء نزواته وانفعالاته يطلق كيف يشاء ويتزوج كيف يشاء أو سكيراً فاسقاً وعريبداً ولو كان غير قادر على الانفاق على زوجة واحدة فضلاً عن أكثر من واحدة . ولو كانت زوجته مغنية منجبة حيث يكون كل هذا تجاوزاً على حدود الله وسبباً فى الظلم والضرر والشقاق وانهدام الحياة الزوجية .

خامساً : واذا كان ما قلناه أن الله لا يرضى عن سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد حقاً فان هذا يستتبع أن يقال ان الله تعالى يرضى عن الحد من هذه الولاية لتلافى نتائج الاساءة فى استعمالها . ولا سيما أن الله قد نبه على أن الشذوذ فى استعمال هذه الولاية واساعتها وما يؤدى ذلك اليه من جور وظلم متوقع .

سادساً : ان المتبع فى كتاب الله واجد فيه الوسائل الى ذلك بحيث يصدق القول ان الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد متنسق مع كتاب الله عز وجل وليس فصلاً للدين عن الدولة ولا أيقالاً فى العلمانية والاستغراب ولا تعطيلاً لشرعية الله .

فبالإضافة الى ما فى كتاب الله من شجب للائم والظلم والتجاوز على حدود الله واجباب دوران حريصة

المسلم في أفعاله وأقواله في نطاق الحلال واجتناب الحرام والظلم والأذى بصورة عامة مما يمثله آيات كثيرة كثرة تغني عن التمثيل فإن فيه آيات خاصة يمكن أن تكون منطلقا ووسيلة إلى ذلك .

ففي آية النساء (٣٥) التي أوردناها قبل أمر الله المخاطبين بالمبادرة للتدخل بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما . والمبادرة للتدخل تكون أشد وجوبا إذا وقع الشقاق بطبيعة الحال . ومن أسباب الشقاق الذي يمكن أن ينشأ بين الزوجين أن يريد الزوج التزوج بأخرى أو أن يشذ عن المبدأ القرآني (الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان) ويتمسك بزوجه بقصد المكيدة والضرر والابتزاز أو يكون طائشا سريع الانفعال يطلق لاتفه الأسباب .

والخطاب في الآية عام يمكن أن يكون لجماعة الحل والعقد من المسلمين أو للحاكم . والحاكم على كل حال مخاطب فيها . وهي مطلقة بحيث يصح أن يقال في ضوء ذلك أن المبادرة يمكن أن تكون بمراجعة الزوجة أو أهلها أو من الحاكم مباشرة إذا بلغه احتمال الشقاق أو وقوعه ، والآية تأمر بالتدخل للإصلاح إلى إزالة أسباب الشقاق . وتلافى نتائج سوء استعمال الزوج لولايته على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات مما شرحنا صورته ومظاهره قبل . وقد ينجح الحكمان في إزالة الأسباب وتلافى النتائج وهو المقصود في التوجيه القرآني وقد لا ينجحان ويتمسك كل من الزوجين بموقفه فيتعذر الإصلاح والتوفيق . ومن الفقهاء من يجتهد بأن للحكمين أن يفرقا بين الزوجين

ويخلصا كلا منهما من الشقاق والشقاء وهذا من وحى آيات النساء (١٢٨) — (١٣٠) ومنهم من يقول إن الحكمين يقترحان التفريق على الحاكم والحاكم هو الذي يفرق . وعلى كل حال ففي ذلك تدخل في ولاية الرجل على نفسه وحد لها مسئلتهما من التوجيه القرآني . ولقد روى الشافعي في صدد ذلك حديثا جاء فيه (جاء رجل وامرأة إلى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئة من الناس . فأمرهم فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ما عليكما أن رأيتهما أن تجعما فافعلوا . وإن رأيتهما التفريق فافعلوا . قالت المرأة رضيبت بكتاب الله بما علي فيه ومالي . وقال الرجل أما الفرقة فلا . فقال علي كذبت والله حتى تقر بما أقرت به) (٤)

وللفقهاء اجتهاد مماثل في صدد الإيلاء (٥) فإذا مضت الشهور الأربعة الممينة للزوج المولى على ما ذكرته آيات سورة البقرة هذه (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاعوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) ٢٢٦ و ٢٢٧ . ولم يرجع الزوج عن إيلائه فإن الزوجة تطلق منه تلقائيا طلقة رجعية في اجتهاد وإن للزوجة أن ترفع أمرها للحاكم والحاكم يطلق على الزوج في اجتهاد حتى لا تبقى الزوجة مطلقة متظلم وتتضرر . وفي كلا الاجتهادين لا يملك الزوج أن يرفض بحجة أن الطلاق بيده وهو ولي نفسه عليه .

وكذلك في الظهار (٦) حيث يوجب القرآن على المظاهر الذي يعود عما قال كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا .

ولاعطاء صاحب الدين دينه من تركة الميت اذا رفض الورثة ذلك . وفى الزام المطلق أو ورثته بنفقة المطلقة وسكنائها اثناء العدة وأجر رضاع طفلها . وفى الزام الزوج بدفع مهر زوجته . وفى التدخل لمنع الناس من أكل أموال بعضهم بالباطل .

وصيغ التشريعات القرآنية فى هذه المسائل موجهة للمسلمين ليلتزموا بها ديناً وإيماناً وتقوى . ووقفاً عند حدود الله وأوامره . وليست موجهة للحكام أى أنها تجعل الولاية للمسلمين على أنفسهم فى ذلك كله . وهى مماثلة فى أسلوبها ومداها لصيغ آيات الطلاق وتعدد الزوجات .

ويبدو هذا من مقارنة الآيات مع بعضها . فإذا كان تدخل الحاكم سائفاً فى هذه الأمور فيكون ذلك سائفاً أيضاً فيما يتبادر لنا فى مسائل إساءة الزوج لاستعمال ولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد .

وإذا قيل إن تلك المسائل حقوقية وللسلطان احقاق الحقوق فإن واجب السلطان فى منع الظلم والضرر غير منازع فيه أيضاً . وظلم الزوج لزوجته من أشد أنواع الظلم لأنه مؤد إلى الفواجع والمآسى وهدم الحياة الاجتماعية .

وآيات سورة الطلاق الأولى والثانية تأمر بإحصاء العدة وأشهداد العدول وإقامة الشهادة لله . وكل هذا إنما يكون لاحتمال رفع الأمر للقضاء ويسوغ القول بالتالى أن القضاء مرجع لجميع هذه الأمور فليس فى الدعوة إلى ذلك شذوذ وتجاوز يجعلانها بمثابة فصل الدين عن الدولة .

فإذا امتنع الزوج عن التكفير فالزوجة ترفع أمرها للحاكم . والحاكم يجبر الزوج على التكفير أو يعين له مدة فإذا لم يكفر فيها طلق عليه ولا يملك الزوج الرفض بحجة ولا يته على نفسه فى الطلاق حسب ما عليه اجتهادات الفقهاء وهو ما تلهمه روح التوجيهات القرآنية . ولقد قال بعض المفسرين ان جملة (فان خفتم) فى آية البقرة ٢٢٥ موجهة للحكام . وهذا سديد تسوغه صيغة الآية حيث يكون فى الآية على ضوء ذلك توجيه للحاكم بوجوب التدخل وحل النزاع الذى ينشب بين الزوجين اذا خيف ان لا يقيما حدود الله . وفى الآية تسويغ لامتداء الزوجة نفسها ببعض المال من زوجها حتى تخلص مما تعانيه من أذى وشقاء . وفى صدد ذلك روى البخارى والنسائى عن ابن عباس (ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام) تعنى أنها تكرهه ولا تطيق معاشرته وتخشى أن تكون فى ذلك شاذة عن الدين) فقال رسول الله اتردين عليه حديثه قالت نعم قال اقبل الحديقة وطلقها تطليقة . وقد يقال ان الرجل استعمال ولايته ولكن هذا الاستعمال لم يكن فى الحقيقة طوعاً من نفسه وإنما هو اطاعة لأمر النبى صلى الله عليه وسلم .

سابعاً : ليس هناك خلاف فى أن القضاء هو صاحب صلاحية فى التدخل لتنفيذ وصية الموصى اذا رفض الورثة تنفيذها وكانت فى حدود سنة رسول الله أى الثلث أو أقل . ولاعطاء كل ذى حق حقه من الارث اذا أراد بعض الورثة ظلم بعضهم الآخر

منوطا باذن القضاء مطلقا . وجوابا
على هذا أقول أن الدكتور البهي أدار
الكلام على نقد المساس بولاية المسلم
على نفسه مطلقا ولم يستدرك ولم
يستثن فتاثر كلامي بذلك .

ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة (٢٢٩) في سواغ افتداء الزوجة نفسها ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر إذا رفض الزوج وأصر على التمسك بزوجه ضارا واعتداء ، وابتزازا . ولقد نبه الدكتور على مبدأ الإمساك بالمعروف والتسريح بالاحسان ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر إذا شذ الزوج عن هذا المبدأ . ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة التي تأمر بعدم الإمساك بالزوجة المطلقة للضرر إذا بلغت أجلها وامسакها بالمعروف أو مفارقتها بالمعروف ولم يذكر ماذا يكون الأمر إذا شذ الزوج عن ذلك . ولقد أورد الدكتور آية سورة النساء (٣) التي تأمر بالاكْتفاء بواحدة إذا خيف الجور وعدم العدل ولم يذكر ماذا يكون الأمر إذا تحقق الجور وعدم العدل بالتعدد .

ولا ريب في أن الدكتور يعرف أن للزوجة أن تراجع القضاء وأن للقضاء أن يتدخل وأن تدخله قد يصل إلى الحد من ولاية الزوج على نفسه في ضوء آية النساء (٣٥) والمآثورات واجتهادات الفقهاء فيها على ما شرحناه قبل . والظاهر أنه تحرز من ذكر ذلك حتى لا يضعف نقده .

ومن ذلك فاني لا أعتقد أن في كتاب الله وسنة رسوله ما يمنع أن يناط أمر الطلاق وتعدد الزوجات عامة بالقضاء الاسلامي الذي يكون الكتاب والسنة والفقهاء الذي يقوم عليهما

وهناك احاديث نبوية كثيرة (٧) تفيد أن المسلمين كانوا يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف شئونهم الاسرية ومنها الطلاق والخلع والعدة والنفقة الخ وان النبي كان يقضى بينهم في ذلك . وفي بعضها كان النبي يتدخل مباشرة في بعض المواقف ويفسر مدى التشريع القرآني فيها وهو في متناول كل من يريد وكثيرة كثرة تجعل المقال طويلا جدا لو أردنا إيرادها . حيث يكون في ذلك أيضا ملهات بان القضاء الاسلامي مرجع شرعي صحيح لهذه الأمور . وقد يقال إنهم كانوا يراجعونه لأنه نبي مشرع يوحى اليه وهذا حق . ولكنه كان يتلقى مراجعتهم ويقضى بينهم كقاض وكصاحب السلطان أيضا على ما تفيد احاديث كثيرة . وهناك حديث صريح الدلالة على هذا . فقد روى الخمسة عن أم سلمة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها أنا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار) (٨) .

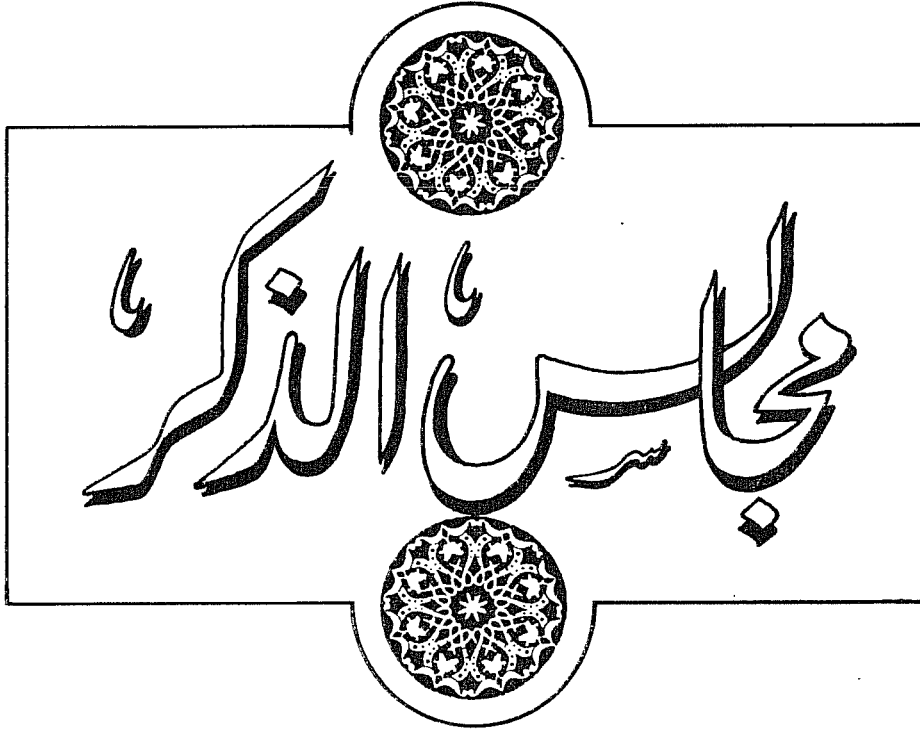
هذا . وقد يلحظ أني أدريت الكلام
على سوء استعمال المسلم لولايته على
نفسه في الطلاق والتعدد . وقد يقول
قائل انه قد يكون سائفا أن ينظر
القضاء في الأمر في حالة الشكوى
والمراجعة وأن التوجيهات القرآنية
هي في صدد ذلك في حين أن النقد
الموجه من الناقدين لاناطة ذلك
للقضاء هو بسبب الدعوة الى جعل
هذه الاناطة عامة شاملة وسواء
أكانت شكوى وخوف شقاق وإساءة
أم لم تكن حيث يكون الطلاق والتعدد

التعدد الذى يكون الجور وعدم العدل مؤكداً والذى لا تكون الضرورة البشرية والصحية فيه قاضية . ويمضى ما لا يكون فيه ذلك . ورأى هذا ليس جديداً ولعلنى من أوائل الداعين اليه فقد شرحته فى كتابى (الدستور القرائى فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ (٩) ، ثم أعدت إبراده مع زيادة فى الشرح فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب المعنون (الدستور القرائى والسنة النبوية فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٩ (١٠) وقد أوردت الملهمات القرآنية والنبوية ورددت على ما يورد على هذا الراى من اعتراضات . ولولا خوف التطويل وقد طال المقل حقاً لأوردت ذلك . والحمد لله رب العالمين .

مرجعه وسنده . بل واعتقد أن فى القرآن والسنة ما يلهم ذلك . واعتقد أن هذا العمل هو تنظيم اسلامى وليس كما يوصف فصلاً للدين عن الدولة . ولا تعطيلاً للشريعة الاسلامية ولا ايغالا فى العلمانية والاستغراب . وأنه لن الممكن الاحتياط بحيث يدع القاضى ولاية المسلم على نفسه نافذة يباشرها بحريته اذا ما تحقق له فى الحالة التى ترفع اليه أنه ليس فيها سوء استعمال وظلم وضرر ويتدخل فقط فى الحالة التى يتحقق له فيها ذلك فيحد من الولاية ويمنع الظلم والجور والضرر استناداً الى حقه وواجبه فى منع الظلم والذى والضرر وتأييد المبادئ القرآنية فى بذل الجهد فى الإصلاح والامساك بالمعروف فى حالة جنوح المسلم الى الطلاق ويمضيه اذا تعذر التوفيق والإصلاح ثم فى منع

- زوجته جنسيا .
- (٦) المظهر أن يقول الزوج لزوجته أنت على محرمة كظهر أمى .
- (٧) انظر الجزء الثانى من التاج ص ١٧٦ الى آخره والجزء الثالث ص ٣ - ٦٥ .
- (٨) هذا الحديث فى الجزء الثالث ص ٦١ .
- (٩) الدستور القرائى فى شئون الحياة ص ١٧ - ١٨١ .
- (١٠) الجزء الاول من الدستور القرائى والسنة النبوية فى شئون الحياة ص ٢٧١ - ٢٩٨ والجزء الثانى ص ٩٠ وبعبدا .

- (١) لا تعولوا فى آية النساء (٢) بمعنى لا تميلوا عن الحق ولا تجوروا .
- (٢) لا تعضوهن فى آية النساء ١٨ وفى آية البقرة (٢٣) بمعنى لا تمسكوا بهن بقصد الابتزاز وعدم العودة الى أزواجهن .
- (٣) حديث أبغض الحلال الى الله الطلاق رواه أبو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم - التاج ج ٢ ص ٣٠٨ .
- (٤) التاج ج ٢ ص ٢٩٩ .
- (٥) الإيلاء يبين يحلفها الزوج بأن لا يعاشر



اللواء الركن : محمود شमित خطاب

- ١ -

وساق سلوك الثانى صاحبه السى
الموت شنقا والسى كره الناس له
وسخط الله عليه .
رحلا من هذه الدنيا كل بأجله
الموعود ، ولكن سكان الموصل لا
يذكرون الاول الا بالرحمات والمعبرات
ولا يذكرون الثانى الا باللعنات
والمسبات .
وكان رحيل الجارين حين رحلا ،
يوما مشهودا يذكره الموصليون حتى
اليوم ، كان رحيلهما تاريخ من
التاريخ .

كانا جارين ليس بين داريهما
غير حائط قصير يسهل اجتيازه على
الشباب والرجل ، ولكنهما كانا
متناقضين فى الطباع والخلق
والسيرة . اما الاول فكان يمثل النور
بما فيه من صفاء وبهجة وخير ، واما
الثانى فكان يمثل الظلام بما فيه من
عممة وانقباض وشر .
وساق سلوك الاول صاحبه السى
حب الناس وتقديرهم ورضا الله ،

ولكن مروءة الناس حينذاك ، لم تكن كمروءتهم اليوم ، فقد حدث أن الحاج خطاب كان يطوى هو وأهله فى بيته ، وهو فى عزلة يتجرع الفصص ، ولكنه كان دائماً على شكر الله . حدث أن طرق عليه بابه ، فإذا برجل من أصدقائه يقول له : خذ ! وتلمس الحاج خطاب ما أخذه ، فإذا هو صرة كبيرة من الليرات الذهبية العثمانية ، فبادر الى طرح الصرة أرضاً ، ثم هرب الى القادم الذى دفع اليه المال ليلاً ، ليعرف هويته ويشكر صنيعه فكان الحاج خطاب يخب ليلى بالرجل ، وكان الرجل يخب حتى لا يعرف أحد هويته ، وأخيراً لحق الحاج خطاب بصاحبه ، فإذا هو رجل من عائلة آل الجومرد عليه رحمة الله .

وعاد الحاج خطاب الى داره ، وحمل الصرة وآوى الى غرفته ، وحين استقر به المقام ، وفتح الصرة وجد فيها خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية .

والذين كانوا يملكون خمس ليرات يومذاك ، كانوا يعدون من الأغنياء !! ومضى الحاج خطاب الى السوق بهذا المال يشتري الاغنام والابقار ، ورحل بها الى سورية ، فربح ربحاً وفيراً .

وعاد من سورية بالأممشة والصابون ، فربح ربحاً وفيراً . وعاهد الله أن يشكر نعمته بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين واليتامى ، فبلغ فى ذلك شأواً بعيداً قارب به ما كان يبلغه السلف الصالح من المتفقيين أموالهم فى سبيل الله .

— ٣ —

وكان عبود شاباً فتزوج بامرأة سوء ، شجعته على السرقة ، وحثته على طلب المال الحرام .

أما رحيل الاول ، فقد كان يوم حزن بالغ والم شديد ، شيعه المشيعون بالمبرات والزفرات ، واجتمع فى جنازته القاصى والدانى ، وأعلن الحداد غير الرسمى على وفاته ولا يزال ذكره الحسن يعطر المجالس . أما رحيل الثانى ، فقد كان يوم فرح بالغ وانشرح عميم ، حضر الناس جميعاً موعداً شنته ، فأخرج روحه على أصوات الزغاريد والتهليل ولا يزال ذكره السيء على كل لسان . ولم يقض وحده شنتاً حتى الموت بل أخذ زوجته معه أيضاً ، اذ شاركته مصيره المفجع شنتاً حتى الموت . كان اسم الاول الحاج خطاب أحمد ، وكان اسم الثانى عبود .

— ٢ —

تقلب الحاج خطاب بين النعمة وشظف العيش ، وبين اليسر والعسر ، ولكنه صبر على العسر وشكر على اليسر .

كان تاجراً ينقل الاغنام والابقار من الموصل الى حلب ، وقد تمتد مسيرته الى الاسكندرونة والاسكندرية ، وحين يبيع اغنامه وأبقاره يشتري بالمال أممشة وصابوناً وينقلها من أرض الشام أو مصر الى العراق .

وصادف مرة فى رحلته من الموصل الى حلب ، أن أصيبت مائيته بوباء من تلك الامراض المعدية التى تصيب المائية كالوباء ، فعاد من رحلته لا يملك قوت يومه .

وصادف مرة فى طريق عودته من أرض الشام الى العراق ، أن هاجمه قطاع الطرق ونهبوا أمواله وبضاعته ، فعاد أدراجه وهو لا يملك شروى نقير .

سرق أول أميره بيض دجاج الجيران ، ثم سرق دجاجاتهم . وتطورت سرقاته من البيض والدجاج الى الاثاث والمتاع ، ثم الى سرقة خزائن المال . وكان يعتمد على نفسه في أول امره ، ثم أصبح رئيسا لعصابة من اللصوص ، تقطع الطرق ، وتعتدى على الأمنين ، وتهاجم البيوت في الليل .

وفي يوم من الأيام ، خطط للسطو على دار جاره الحاج خطاب ، وكان الأمر ميسورا بالنسبة له ولعصابته ، إذ لم يكن بين دار الحاج خطاب وداره غير حائط قصير ، يجتازه هو وعصابته بسهولة حين يريدون .

وكان الحاج خطاب قد عاد من سورية بتجارته الرابعة ، وكانت أخبار أرباحه الكبيرة حديث الناس جميعا ، فقال عبود لرجاله : لا بد أن نبادر الى أخذ أموال الحاج خطاب قبل أن يبددها على الفقراء .

— ٤ —

كان يوما من أيام الشتاء القارص وكان القمر في المحاق ، فلما انتصف الليل ، اجتاز عبود وعصابته الحائط بين داره ودار الحاج خطاب ، فحلوا في سطح المنزل ، وأخذوا يترقبون الفرصة السانحة للنزول من السطح الى داخل الدار .

وانتظر عبود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى أذن المؤذن بالذاكرين الله ، وهم يرددون كلمات الذكر بخشوع .

وانتظر عبود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر .

وعاد عبود ورجاله من حيث أتوا ، وازعموا أن يعودوا الكرة في اليوم التالي .

وعادوا مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ، وهم يجدون مجلس الذكر حافلا ، وكان عدد الذاكرين يزداد كل يوم .

وأخيرا قررت العصابة ألا تعود الى دار الحاج خطاب ، لأن مجلس الذكر يمنهم من تحقيق مآربهم .

وبعد شهر حل موسم الربيع ، وجاء مع الربيع الخير والبركة .

وقدم رعاة أغنام الحاج خطاب بالسمن واللبن ، فوزع شطرا منه على الجيران ، وكان لعبود من هذا الخير نصيب .

وجاء عبود شاكرا للحاج خطاب هديته ، وفي أثناء الحديث ، قال عبود : يا حاج خطاب ! اتعقد في بيتك كل يوم مجلسا للذكر ؟

وقال الحاج خطاب : لم أعقد في بيتي مجلسا للذكر منذ سنين .

وقال عبود : ولكنني رأيت بعيني هذه المجالس تعقد كل يوم .

وقال الحاج خطاب : سبحان الله ! هل رأيت تلك المجالس بعينك ؟

وقال عبود : الآن حصص الحق .. ثم حدثه بمحاولته سرقة داره ، وما رآه بعينه .

وقال الحاج خطاب : الحمد لله ..

(ان الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) .

ومضى عبود على وجهه كمن أصابته لومة يردد : أنا رأيت مجالس الذكر بعيني ؟ كيف !! وقال لأصحابه : لقد رأينا مجالس الذكر ، والحاج خطاب تقى بكم تقواه .

واجتاحت البلاد العربية موجة الفلاء الفاحش في السنوات الأخيرة

من سنى الحرب العالمية الاولى
(١٩١٤ - ١٩١٨) .

واصبحت الحنطة مفتوحة ،
واصبح سعر الوزنة (ما يسوى ١٣
كيلوغراما تقريبا) بثلاث ليرات
ذهبية .

وجاع عبود وجاعت زوجته ، فقد
بدد المال الحرام الذى ربحه من
السرقات والميسر والخمر وما يتبع
الميسر والخمر .

وشجعت زوجته على خطف
الاطفال وذبحهم ، فخطف العديد منهم
وذبحهم واكل لحهم .

وكشف امره بعد حين ، فحوكم
وحكم عليه وعلى زوجته بالشنق حتى
الموت .

واذاعت الحكومة القائمة حينذاك
نص الحكم على عبود وزوجته وموعد
تنفيذه ومكان التنفيذ .

وجاء الناس من كل فج عميق ،
ليشهدوا موت المجرم السفاح ، وهم
فى فرح غامر وسرور عظيم .

وقيل لعبود قبل تنفيذ حكم الاعدام
عليه : ما هى آخر رغباتك فى الحياة
لنحققها لك ؟

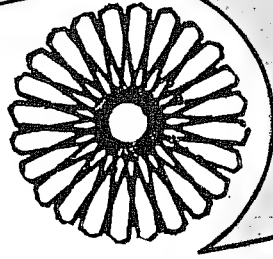
قال : ان اقبل لسان زوجتى .
وامام مشهد من الناس اخرجت
زوجته لسانها ليقبله عبود ، فأخذ
اللسان بفمه وقضمه بأسنانه حتى
قطعه بين صراخ الزوجة وصخب
الجهاهير .

وقال عبود : قطعت لسانها قبل
موتى وموتها ، لانه سبب نكبتى ، لقد
حقتنى على الجرائم الصغيرة ،
وشجعتنى على الجرائم الكبيرة ، حتى
اصبحت مجرما خطيرا .

واذا كانت حياتى كلها شرا ، فان
قطع لسان زوجتى على مشهد من
الناس فيه عبرة ، لعل فيها بعض
الخير .

وبعد لحظات كان عبود وزوجته
فى عداد الاموات ، وكانا يترجحان
على حبال المشنقة عبرة لمن يعتبر .

الاجرام



للدكتور احمد على المجدوب

والترويج لها فيما ينشر من كتب عن الجريمة في بلادنا ينطوى على خطورة كبيرة ، فضلا عما فيه من خطأ منهجي واضح ، لأن التشابه الظاهري بين المشاكل لا يعنى وجود تشابه مماثل بين الأسباب التي أدت اليها أو العوامل التي ترتبت عليها ، وبالتالي تشابه وسائل مواجهتها وأساليب علاجها ، مثال ذلك ظاهرة العلاقات الجنسية المثلية أو الشذوذ الجنسي فهي موجودة في دولة متقدمة جدا كبريطانيا حيث تسود قيم وأنماط من العلاقات تختلف كل الاختلاف عما هو سائد في بعض الدول حيث توجد نفس الظاهرة ، وبالتالي فإنه لا يمكن القول بأن الأسباب في كلتا الحالتين واحدة وأن العلاج واحد كذلك .

بالرغم من أن النتائج المتماثلة للبحوث العديدة التي أجريت في الخارج سواء على الظاهرة الاجرامية بصفة عامة ، أو على نوع معين من الجرائم ، تقول إنه ليست هناك علاقة بالمرة بين الجريمة والدين باعتباره عاملا مانعا ، أو على الأقل مخففا من شدة الميل الى الجريمة ، وهو ما حرص كل العلماء والباحثين في مجال الجريمة على ابرازه والتركيز عليه ، الى الحد الذي جعلهم يستبعدون الدين من بين العوامل التي يمكن الاستمانة بها لمواجهة الظاهرة الاجرامية ، وتجريده من تلك الاهمية التي أضفوها على غيره من الوسائل والأساليب التي اقترحوها ، سواء للوقاية أو للعلاج من الاجرام ، فان قبول هذه النتائج على علانها

والملاحظ على ما ينشر من تقارير عن البحوث التي أجريت في البلاد الإسلامية عن الظواهر والمشكلات الاجتماعية أن الباحثين يعتمدون في تفسيرهم للبيانات الإحصائية ولحصيلة ملاحظاتهم الميدانية على ما سبق أن نشر من تقارير عن بحوث مماثلة أو حتى مشابهة أجريت في الخارج ، فضلا عن أثر الخلفية الفكرية لكل منهم ، وهي في الغالب خلفية غربية ، وأحيانا خلفية شرقية وذلك لاستخلاص دلالات والوصول إلى استنتاجات لا يراعون في استخلاصها والوصول إليها ، لا الفروق الثانوية فحسب بل ولا الفروق الأساسية أيضا بين الواقع الاجتماعي في البلاد الإسلامية والواقع الاجتماعي في الدول الغربية ولذلك تأتي تحليلاتهم غير صحيحة رغم مظهرها المنطقي .

ولو أنهم وضعوا حدا للثقة المبالغ فيها فيما يقرأونه من كتب الغرب وبحوثه ، والتي لا يفرقون فيها بين الفث والتمين من الأعمال والدراسات لوصلوا إلى نتائج أفضل بكثير مما يصلون إليه عادة ، نظرا لأن الشك ، وهو أمر له مبرراته العديدة في مجال العلم ، سيجعلهم أكثر اصرارا على معرفة الحقيقة ، وأشد رغبة في استجلاء الأمر ، فلا يكتفون بالتحليلات السريعة والتفسيرات المتعجلة استنادا إلى الاعتقاد الخاطيء بأن - التشابه بين المشكلات يعنى التشابه بين العوامل والأسباب وأيضا بين وسائل العلاج وأساليب المواجهة .

وهذا الحكم ينطبق إلى حد كبير على تحليلات الباحثين المسلمين للعلاقة بين الدين والجريمة ،

وتفسيرهم للدين كعامل مانع ، أو على الأقل واق من الاجرام ، فقد اكتفوا ، في البحوث التي أجروها ، بالتفسيرات التي وصل إليها بعض الباحثين الغربيين ، كما استخدموا نفس أساليبهم في التحليل والوصف ، ذون أن يراعوا أبسط المبادئ العلمية ، فضلا عن الفروق الجوهرية بين الظروف الاجتماعية المختلفة والتركيب الاجتماعي في البلاد الإسلامية وغيرها ، فسارعوا إلى القول ، مقلدين زملاءهم الغربيين ، بأنه لم يتبين وجود علاقة من نوع ما بين الدين والجريمة ، فهو لا يلعب أى دور في المنع من الجريمة أو الوقاية منها ، وأيدوا رأيهم هذا بما ورد في كتب العلماء الغربيين من نتائج في هذا الصدد ، ناسين أو متناسين أن الدين الذى عنه هؤلاء العلماء ليس هو نفس الدين الذى تدور حوله بحوثهم .

فالملاحظ أن الباحثين المسيحيين والمسلمين ينقسمون إزاء الدين إلى فريقين أحدهما ينسى في ترديده لآراء علماء الغرب في الدين الاختلافات الأساسية بين الإسلام وغيره في غمرة انبهاره بهذه الآراء من ناحية ، ولجهله التام أو المحدود بالشريعة الإسلامية من ناحية أخرى ، مما يجعله عاجزا عن إدراك ما بينها وبين غيرها من اختلافات رئيسية وفروق أساسية .

في حين أن الفريق الثانى يتناسى عن عمد الاختلافات التى بين الدين الإسلامى وغيره من الأديان ، ويصر على تعميم الأحكام التى وصل إليها علماء الغرب والشرق على السواء بشأن الدين ويمسدها إلى الدين الإسلامى بالرغم من أن هذا التعميم

يتعارض بشكل صارخ مع المبادئ العلمية الأساسية . ولكنه التقليد الأعمى للغرب ، والمحاكاة البلهاء لكل ما يصدر عنه ، الصادرين عن الجهل حيناً وعن الانتهازية والنفاس والوصولية غالباً .

لذلك يكتفى الباحثون لدينا بالبيانات البسيطة عن الظاهرة دون أن يتبعوها في علاقتها بغيرها من العوامل والظواهر الأخرى ، فلا يستخدموا ما يسمى بالجدول المركبة وإذا استخدموها فبالنسبة للعلاقة بين الجريمة والدين فقط دون العلاقة الأوسع التي تشمل الجنس والسن والتعليم وغيرها مما يتفاعل بشكل ملحوظ مع الدين ، وهو قصور معيب ينبغي تداركه والعدول عنه ، فالمعروف أن فهم الدين واستيعاب أحكامه والالتزام بمبادئه وقيمه يختلف باختلاف الجنس والسن والتعليم ، مما يستوجب وضع جداول ارتباط تشمل هذه الأمور جميعاً حتى يمكن الوصول إلى تحديد للعلاقة بين الدين والجريمة ، فضلاً عن ملاحظة الفروق بين الدين الإسلامي وغيره ، وأهمها بلا جدال أن الإسلام ليس مجرد مبادئ أخلاقية وتعاليم دينية وعبادات فحسب ، بل هو شريعة كاملة تتناول كافة صور العلاقات الإنسانية والاجتماعية سواء بين الأفراد وبعضهم بعضاً أو بينهم وبين الجماعة فضلاً عن اهتمام الإسلام بالإنسان أولاً وقبل أي شيء آخر فسعى إلى أن يوفر له إنسانيته ويضمن له كينونته أزاء الجماعة ، فجعل اهتمامه موجهاً في المكان الأول إلى جعله اجتماعياً يعرف ماله وما عليه وذلك بتغذية الاحساس بالمسؤولية لديه نحو الجماعة وتجريده بقدر الامكان من انانيته وجبه لذاته واحلال الاحساس الغيرية لديه والرغبة في التضحية

وانكار الذات دون قهر أو اكراه ، وانما بالاختناق والفهم والرغبة الصادقة . وقد سبق جهد الإسلام في هذا المجال جهده في مجال العقاب ، فهو يربى الفرد ويجعله انساناً ثم بعد ذلك يفرض عقوبات رادعة على من يخرج على ما وضعه من ضوابط وما فرضه من حدود قصد بها حماية الجماعة وتوفير الأمن والطمانينة لأفرادها حتى لا تستحيل الحياة إلى غابة يسودها منطق القوة الفاشية ويستشري فيها الفساد والانحلال والظلم والبغى .

لذلك فإن الإسلام عكس غيره من الأديان لم يتضمن تحديداً للجرائم فحسب ، بل تضمن أيضاً المبادئ الأساسية في إجراءات التحري والتحقيق والمحكمة ، مما يمكن معه القول أن مد الحكم الذي أصدره علماء الغرب على الدين إلى الدين الإسلامي يعد عملاً تعسفياً يفتقر إلى التبصر والحكمة ، بل يمكن القول بأنه لا يصدر عن اعتبارات علمية بالمرة .

والملاحظ أن دراسة العلاقة بين الدين والجريمة في المجتمعات الإسلامية أسهل من دراستها في غيره من المجتمعات ، لا لشيء إلا لوضوح التأثيرات التي يزاولها الدين الإسلامي في المجتمعات التي تدين بالإسلام ، إما بصفة عامة وفي كافة الظروف ، كما في المجتمعات التي تطبق الشريعة الإسلامية وأحكامها ، أو بصفة خاصة وفي ظروف معينة ، كما في المناسبات التي تسود فيها روح الإسلام مثل شهر رمضان .

وهناك تأثيران أساسيان واضحا يزاولهما الإسلام ، وتبدو وعلاقته فيهما بالجريمة أوضح ما تكون سواء في الجانب السلبي أو في جانبها الإيجابي .

ومصدر التأثير الاول ، الاسلام
كدين يدعو الى الفضائل وينفر من
الردائل ، ويحض على فعل الخير
ونبذ الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر ، ويربط الانسان بهذه القيم
ربطاً دائماً بما يمارسه عليه من تأثير
يستمر خلال اليوم فضلاً عن العام ،
ويتمثل فى الصلوات الخمس ثم
الزكاة والصوم والحج ، وقراءة
القرآن وسماعه وهى لا تكاد تنقطع
طول اليوم بما تتضمنه من تذكير دائم
بمبادئ الدين وأحكامه وضوابطه
وأوامره ونواهيه وهو امر لا يشبه
فيه مجتمع آخر المجتمع الاسلامى ،
مما يجعل من السهل قياس ورصد اثر
الدين فى سلوك الافراد وعلاقاتهم
وبالتالى تحديد العلاقة بين الدين
والجريمة . أما مصدر التأثير الثانى
فهو العقوبات الرادعة التى قررتها
الشريعة الاسلامية لمن يخرج على
أحكامها ولا يراعى ضوابطها ومبادئها
وهو خروج يثم عن فساد جدير
بالمواجهة الحازمة وانحراف قمين
بالردع لما يؤدى اليه من اضرار تصيب
الجماعة والافراد وما ينطوى عليه من
أخطار تهدد أمنها وتنازل من سلامتها
وتتهدد العلاقات المستقرة بين
أفرادها .

ويمكن استخدام المنهج الاحصائى
فى دراسة العلاقة بين الدين
الاسلامى والظاهرة الاجرامية فى
المجتمعات الاسلامية بهدف التحقق من
صحة الفرض القائل بأن للدين اثراً
مانعاً من الانحراف والاجرام ، وذلك
بطريقتين : الاولى يتم فيها اجراء
حصر شامل لكل ما وقع من جرائم فى
دولة تطبق الشريعة الاسلامية لمدة
خمس سنوات على الاقل ، ثم تفرغ
البيانات الرقمية فى جداول بحسب
تصنيف للجرائم يتم وضعه على غرار

أكثر التصنيفات العلمية شيوعاً حتى
يسهل اجراء المقارنة بين هذه البيانات
ومثيلتها فى دولة أو عدة دول لا تطبق
الشريعة الاسلامية رغم أنها دول
يدين أغلب رعاياها بالاسلام ،
فالعامل المتغير الوحيد بين الدول
التي تجرى المقارنة بينها هو تطبيق
الشريعة الاسلامية ، بينما تثبت
العوامل الاخرى . وذلك لمعرفة اثر
هذا العامل فى المشكلة وهل هو
سلبى أم ايجابى .

كذلك يمكن بواسطة نسبة اجمالى
الجرائم التى ارتكبت الى اجمالى عدد
السكان ، معرفة ما يسمى بالمعدل
وهو نسبة مرتكبي الجرائم الى كل مائة
الف من السكان .

أما الطريقة الثانية ويستخدم فيها
المنهج الاحصائى أيضاً ، فيقصد بها
التحقق من صحة الفرض نفسه
بادخال العامل المتغير أى الدين ،
خلال فترة معينة من السنة مع تثبيت
العوامل الاخرى وهذه الدراسة
تجرى على نفس المجتمع ولكن خلال
فترتين زمنيتين مختلفتين احدهما
يظهر فيها اثر الدين ، مثال ذلك
شهر رمضان ، والثانية لا يظهر فيها
هذا الاثر كبقية شهور السنة ثم يتم
حصر الجرائم التى وقعت فى الفترتين
واجراء المقارنة بينها لمعرفة اتجاهها
خلال الفترة التى كانت المشاعر الدينية
فيها لدى الناس فى حالة نشاط وهل
كان هذا الاتجاه نحو الارتفاع أم نحو
الانخفاض أم أنه لم يختلف عن الاتجاه
العالم طول العام .

كذلك يمكن تحديد معدل الجريمة
خلال شهر رمضان ومقارنته بالمعدل
فى الشهور الاخرى لمعرفة ما اذا كان
قد طرأ عليه تغيير من نوع ما أم لا .
ولقد حاولت اجراء مثل هذه
الدراسة وخاصة ما يتعلق منها

بالمقارنة بين البيانات الإحصائية الخاصة بالجرائم التي ارتكبت في بلدين إسلاميين أحدهما يطبق الشريعة الإسلامية والآخر لا يطبقها ولكن للأسف الشديد اعترضت المحاولة عدة عقبات ، يمكن التغلب عليها إذا رغب المسؤولون في الدول الإسلامية وخاصة التي تطبق الشريعة الإسلامية في تقديم التسهيلات اللازمة لإجراء هذه الدراسة وتذليل الصعوبات التي تحول دون المضي فيها . وأهمها جميعا تقديم البيانات الإحصائية الخاصة بالجرائم التي ارتكبت فيها خلال فترة زمنية معينة أو تمكين المسؤولين عن الدراسة من إجراء حصر لما يقع من جرائم . ومما لا شك فيه أن وجود إدارة إحصائية تختص بتسجيل ما يقع من جرائم أصبح من المرافق الأساسية في وزارات الداخلية والعدل وغيرها مما يتصل نشاطه بالظاهرة الإجرامية ، فضلا عن المؤسسات العقابية التي تستعين بالأجهزة الإحصائية والبيانات الإحصائية في العديد من العمليات كالترديد العقابي والتصنيف وغيرها . إلا أنه لوحظ أن الكثير من الدول الإسلامية قد استجلبت أحدث الأجهزة في شتى المجالات ونسيت أن تستجلب الأجهزة الإحصائية رغم فوائدها العديدة ، وهناك بعض الدول التي استجلبت هذه الأجهزة ولكنها لم تستخدمها الاستخدام المفيد والنافع واكتفت بالنشر عنها في الصحف والمجلات في المناسبات التي ينشط فيها الحديث عن الجريمة والتقدم والأخذ بالأساليب العلمية . وهناك بعض الصعوبات الناشئة عن اختلاف الظروف السائدة في الدول الإسلامية وأهمها الاختلاف

المعروف بين السنين الشمسية والسنين القمرية والذي يترتب عليه عدم التطابق بين الشهور الهجرية والشهور الميلادية والسريانية مما يجعل المقابلة بين الشهور صعبا ولكنه ليس مستحيلا طالما أنه يمكن تحديد ما يقابل شهر رمضان من الشهور الميلادية أو السريانية في كل عام . وربما يأخذنا الحماس فنسارع إلى إصدار حكم تعسفي بأن الدين الإسلامي له تأثير مانع من الجريمة يبدو بوضوح فيها نلاحظه من اختلاف شديد بين معدلات الجريمة في الدول الإسلامية والدول الأوروبية مثلا حيث ترد إلينا الأنباء كل يوم بالزيد والجديد بل والغريب من الجرائم كالقتل الجماعي والشذوذ الجنسي والسطو والاغتصاب وجرائم العنف بصفة عامة ، مما جعل الجرائم تزيد في كل عام بنسبة ١٠ ٪ عما كانت عليه في العام السابق ولكن مثل هذا الحماس ضار أكثر مما هو نافع نظرا لما هو معروف من وجود مؤثرات أخرى غير الدين يمكن أن تخفض معدل الجريمة كالتخلف مثلا ، فالمعروف أن الجريمة تتجه اتجاهها طرديا مع التحضر ، بمعنى أنه كلما زاد التحضر زادت الجريمة ومن ثم فإن انخفاض نسبة الجرائم أو ضعف معدلها لا يعني أن الدين هو السبب . كذلك قد تتدخل عوامل جانبية تؤدي إلى خفض معدلات الجريمة خفضا ظاهريا فقط مثال ذلك ضعف الشرطة وهبوط مستوى رجال الأمن الذي يؤدي إلى عدم الكشف عن الجرائم وضبط مرتكبيها فتظهر الإحصاءات غير متضمنة كل ما وقع من الجرائم وتدخل نسبة كبيرة من الجرائم في دائرة الظل أو ما يسمى بالارقام السوداء أو المظلمة

وهى مشكلة تعاني منها كل الدول
بصور متفاوتة فى خطورتها مما جعل
المختصين يعقدون المؤتمرات وينظمون
الندوات من أجل دراستها والتعرف
على أسبابها والعوامل الكامنة
وراءها .

لم يبق اذن متاحا سوى اللجوء
الى الطريقة الثانية وهى الدراسة
الاحصائية للبيانات الرقمية للجرائم
التي ارتكبت فى فترتين مختلفتين من
حيث ظهور أثر الدين فى احدهما
وعدم ظهوره فى الأخرى وبمعنى
أصح اجراء مقارنة بين الجرائم التي
ارتكبت فى شهر رمضان والجرائم
التي ارتكبت فى غيره من الشهور
على مدار السنة وذلك خلال عدد من
السنين حتى تتمكن من متابعة أثر
العامل المتغير وهو الدين خلال فترة
طويلة نسبيا واستبعاد اثر أى عامل
من العوامل غير المتوقعة التي قد
تطرأ فى عام دون آخر ، كالحرب مثلا
حيث تبين حدوث انخفاض كبير
وواضح فى نسبة الجرائم التي
ارتكبت فى شهر رمضان ١٣٩٣ أثناء
حرب أكتوبر سنة ١٩٧٤ مقارنة مع
ما سبق ارتكابه من جرائم فى شهر
رمضان من الاعوام السابقة ، مما
يدل على أن الحرب كان لها تأثير لا
شك فيه فى هذا الانخفاض غير
العادى ، بعكس ما هو معروف عن
اثر الحروب فى ارتفاع معدلات
الجريمة فى دول العالم ، مما يمكن
رده مرة أخرى الى الدين الذى تفاعل
تأثيره المكثف خلال شهر رمضان مع
تأثير الحرب التي بعثت فى ذاكرة
المسلمين ذكريات تلك الحروب
المقدسة التي خاضوها دفاعا عن
دينهم وعقيدتهم وذودا عن كرامته
الانسان المهذرة فى كل مكان وشرفه
المهان أينما كان .

وقد أجريت الدراسة على الخمس
سنوات الواقعة بين سنتى ١٩٦٨
و ١٩٧٢ الموافقتين لسنتى ١٣٨٨
و ١٣٩٢ هجرية وبطبيعة الحال ،
فانه نظرا لاستخدام مصر للتقويم
الميلادى فان الاحصاءات الجنائية
تصدر بحسب الشهور الميلادية التي
لا تتطابق حتما مع الشهور الهجرية ،
مما يجعل شهر رمضان يقابل ثلاثين
يوما يقع بعضها فى شهر ميلادى
وبعضها الآخر فى شهر آخر ، مثال
ذلك شهر رمضان ١٣٨٩ هجرية
فثلثاه يقع فى شهر نوفمبر والثلث
الآخر يقع فى شهر ديسمبر سنة
١٩٦٩ مما يسبب صعوبة عند محاولة
تحديد عدد الجرائم التي ارتكبت فى
شهر رمضان فهى تستخلص مما ورد
بالتقارير الاحصائية منسوبا الى
الشهور الميلادية ، وفى هذا المثال
الذى ذكرناه حالا فان تحديد الجرائم
التي ارتكبت فى شهر رمضان سنة
١٣٨٩ يتم بضم ثلثي الجرائم التى
ارتكبت فى نوفمبر الى ثلث الجرائم
التي ارتكبت فى ديسمبر بكل ما
ينطوى عليه ذلك من مخاطر ناشئة
عن أن الجرائم ليست عملا منتظما
وثابتا يقع على مدار أيام الشهر بنسبة
ثابتة ومتساوية بحيث يتساوى ما
يقع فى كل اسبوع من أسابيع الشهر
مع ما يقع فى غيره ، وانما تتدخل
عوامل واعتبارات عديدة تجعل ذلك
التساوى متعذرا ان لم يكن مستحيلا
مما يجعلنا ننصح فى حالة اجراء
دراسة واسعة أن يتم حصر الجرائم
بحسب الشهور الهجرية وليس
الميلادية تلافيا للصعوبة المشار اليها
وهى تتعلق باجمالى الجرائم ، وهناك
صعوبة أخرى تتعلق بتصنيف الجرائم
فهناك أنواع من الجرائم ينخفض عدد
ما يقع منها فى شهر رمضان بينما

الجنسية بصفة عامة والسرقة والقتل والقذف والسب .

أما الجرائم التي لا تنخفض نسبتها وكذلك التي تزيد فإنها من وجهة نظر عامة الناس لا تتعارض بشكل مباشر مع الدين ولا مع الصيام وخاصة التزييف وتعاطي المخدرات والاتجار فيها التي يرون أنها ليست محرمة بعكس الخمر التي حرمها الله ومع ذلك يبيحها ولاية الأمر .

أما المشاجرات البسيطة فبالرغم من تعارضها مع الدين الذي نهى عن العدوان بكل درجاته إلا أنها تجد ما يبررها عند الجاهل في حالة الصائم العصبية والضيق الذي ينتابه نتيجة الجوع .

وبصفة عامة فإن إجمالى الجرائم التي ترتكب في شهر رمضان يقل كثيرا عن إجمالى ما يقع منها في غيره من الشهور ، كذلك فإن نسبة ما يقع في شهر رمضان الى إجمالى ما يقع في العام كله من جرائم يقل بشكل ملحوظ عن نسبة ما يقع في غيره من الشهور مما يدل على أن الدين يلعب دورا هاما في المنع من الجريمة والوقاية من الاجرام بعكس ما وصل اليه علماء الغرب بالنسبة لغيره من الأديان حيث بينت لهم بحوثهم أنها لا تلعب مثل هذا الدور .

وهكذا يمكننا أن نستفيد من الدين في مكافحة الجريمة ومنعها باعتباره عاملا هاما بل أهم العوامل بلا جدال على شريطة أن يكون توظيفه لهذه الغاية مدروسا بشكل جيد وجاد حتى لا ينقلب الوضع ونسبته اليه بدلا من أن نحسن الى أنفسنا به ، فلا تزال نفوس الناس في البلاد الإسلامية تنطوى على الكثير من الخير والحب والإيمان العميق .

يرتفع عدد ما يقع من أنواع أخرى بحسب ما ينطوى عليه هذا النوع أو ذلك من تعارض مع الصيام بصفة خاصة ومع الدين بصفة عامة ، ومن ثم فإن تحديد نسبة ما وقع من هذه الأنواع في الجزء من الشهر الميلادي المقابل لشهر رمضان يلقى صعوبة واضحة ومضلا عن ذلك فإن التعرف على أثر الدين في المنع من الجريمة لا يمكن أن يتم باليقين المطلوب نظرا لاستحالة الفصل بين العوامل المختلفة سواء التي تؤدي الى الاجرام أو التي تمنع منه فهي متداخلة متفاعلة لا تعمل بمعزل عن بعضها بعضا .

ومع ذلك وبالرغم من هذه المحاذير ومن غيرها مما تضيق عنه هذه الدراسة البسيطة ، فإننا قد مضينا في محاولتنا تقصى أثر الدين في المنع من الاجرام أو الحد منه فنتبين من التحليل الإحصائي للبيانات الخاصة بالجريمة ومع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى التي تلعب دورا سلبي أو دورا ايجابيا أن الدين يلعب دورا واضحا بالنسبة لبعض الجرائم كالجرائم الجنسية أو جرائم الآداب ، مثل الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضح العلني والتحريض على الفسق ، وكذلك جرائم القذف والسب كما تنخفض بنسبة أقل جرائم السرقة والقتل ، في حين لا تنخفض جرائم الضرب والجرح بل قد تزيد وخاصة المشاجرات البسيطة المعدودة من الجرح وجرائم التزييف والحرق العمد وتعاطي المخدرات والاتجار فيها .

والملاحظ أن الجرائم التي تنخفض نسبة ما يقع منها ، تتعارض بشكل واضح مع الدين ، بل أن أغلبها مما يدخل في الحدود المنصوص عليها مباشرة في الشريعة كالزنا والجرائم

ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا أنزلناه في ليلة القدر • وما أدراك ما ليلة القدر • ليلة القدر
خير من ألف شهر • تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر •
سلام هي حتى مطلع الفجر » .
(صدق الله العظيم)

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله أنى ان علمت ليلة
القدر فبماذا أدعو فيها ، فقال : قولى : (اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني) .

الصوم فى الحر

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى
على رأس سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة
إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على
نفسه ؟ فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك
وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم
العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .

خير زاد

خطب أبو ذر عند الكعبة قائلا :
ليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ، فقالوا : نعم ، فقال :
فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، فقال : حجوا
حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ،
وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

ضعيف الله

دعا الحجاج اعرابيا لياكل معه ، فقال الاعرابي : دعائي من هو خير منك فليتيه ، فقال الحجاج : من هو ؟ قال الاعرابي : ربي دعائي للصوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقال الاعرابي : انضمن لي الحياة لقد ؟ فقال الحجاج : لا . فقال : كيف ابيع حاضرا باجل . فقال الحجاج : انه طعام لذيق طيب . فقال : والله ما طيبته انت ولا طيبه طاهيك ، وانما طيبته العافية ، فقال الحجاج : صدقت ولكن اليوم شديد الحر ، فقال ، وانا صمت ليوم اتشد منه حرا ، فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الاعرابي : (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) . فقال الحجاج : هديت يا رجل فاتصرف رائدا .

السلف الصالح في رمضان

١ - كان عبد الله بن عمر يصوم ولا يفطر الا مع المساكين ، فاذا لم يجد او منعه اهله عنهم لم يتعشى تلك الليلة .

٢ - جاء سائل الى الإمام أحمد وكان صائما فدفع اليه رغيفين كان قد اعدهما لفطره ، ثم طوى واصبح صائما .

٣ - كان أبو حنيفة يختم في رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل واخرى بالنهار وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا دخل العشر الاواخر فقلما يستطيع احد ان يكلمه .

للدكتور محمد عبد الرؤوف

جليلة ، تحتوى على أكثر من واحد وعشرين ألفاً من الأحاديث والآثار والعجيب أنه على الرغم من أن الكتاب ثروة فقهية وتاريخية رائعة وأنه مصدر حديثى رائد مبكر ، وبالرغم من جلال المؤلف الامام وعلو قدمه ، فإن « المصنف » لم يحظ بنصيب يذكر من العناية والدراسة من جانب الاجيال الماضية اذا قورن بما لقي كتساب « الموطأ » ، وما قدر للمجاميع التى دونها بعد من درس على يد صاحب المصنف وحفظ عليه وروى عنه من أمثال الامام أحمد وصاحبى الصحيحين رضى الله عن الجميع ، بل قد ظلت مخطوطات « المصنف » مدفونة فى خزائن الكتب حتى أذن الله تعالى

لا زلنا بصدد الكلام عن المرحلة الثانية من مراحل قيد الحديث وكتابته تلك المرحلة التى سميناهما « مرحلة المصنف أو التصنيف » ، أى جمع الأحاديث والآثار فى كتاب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه ، وقد درسنا نموذجين من المصنفات فى المقالين السابقين من هذه السلسلة وهما « مجموع الامام زيد » و « موطأ الامام مالك » ، ونتحدث فى هذا المقال عن نموذج ثالث كان من ثمرات هذه المرحلة ، وهو : « المصنف » للامام عبد الرزاق ، وبه ينتهى الحديث عن مرحلة المصنفات ان شاء الله .
وكتاب « المصنف » الذى نحن بصدد الحديث عنه موسوعة حديثة

للإمام عبد الرزاق الصنعاني

ولقد سبق أن التقينا بالإمام عبد الرزاق صاحب هذا « المصنف » ، وذلك أثناء مناقشتنا اسناد « صحيفة همام بن منبه » ، فقد رواها عبد الرزاق عن شيخه « معمر بن راشد » عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم مؤلفنا كاملا هو : عبد الرزاق بن همام ابن نافع الحميدى الصنعاني ، ولد باليمن عام ١٢٦ هـ وتوفي في شوال عام ٢١١ باليمن عن خمسة وثمانين عاما (١) ، وقد كف بصره قبل وفاته ،

بيعت الكتاب في السنوات الأخيرة على يد المجلس العلمى الذى نشره عن طريق دار القلم ببيروت في أحد عشر مجلدا كبيرا ، ظهر أولها عام ١٣٩٠ هـ ، وتم طبع آخرها في شهر رمضان المعظم عام ١٣٩٢ هـ ، وذلك بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الذى أبلى بلاء حسنا وبذل جهدا مشكورا في تحرير الكتاب وضبطه وتخريج أحاديثه والتعليق عليها وترقيتها ، جزى الله الجميع خيرا الجزاء .

(١) « وفيات الأعيان لابن خلكان » بتحقيق المرحوم الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الثانى ص ٣٧١ ، و « هدى المارفين » لاسماعيل باشا البغدادي (١٩٥١) الجزء الاول ص ٥٦٦ .

وتسميته « الصنعاني » نسبة الى صنعاء بقلب الهمزة نونا على غير قياس كما نسبوا الى بهراء ، فقالوا بهرائي .

وكان الامام عبد الرزاق من ذوى الورع والتقوى ، ومن حكه قوله : « من يصحب الزمان يرى الهوان » ، وقد سمع وهو ينشد :

فذاك زمان لعينا به

وهذا زمان بنا يلعب (٢)

ومن مؤلفات الامام عددا كتاب « المصنف » : « تركية الارواح عن مواقع الفلاح » و « تفسير القرآن » و « السنة فى الفقه » و « كتاب المفازى » (٣) .

بدأ عبد الرزاق يدرس الحديث ويحفظه عندما بلغ العشرين من عمره فلزم معمر بن راشد لسبع سنوات وذكر انه كتب عنه عشرة آلاف من الأحاديث (٤) ، وكان معمر من علماء البصرة ثم رحل عنها الى اليمن ، وكان من المبكرين فى جمع الأحاديث مصنفة مبوبة حتى قيل ان مصنفه « الجامع »

كان اول المصنفات ، ولما رحل عبد الرزاق الى الشام ثم بلد الله الحرام بقصد التجارة واداء الفريضة وطلب العلم التقى بعلماء البلاد التى حل بها ودرس على يدهم وحفظ الكثير عنهم من امثال الأوزاعى والثورى وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الذى كان من الرائدین فى كتابة المصنفات واسم مصنفه « كتاب السنن » ، ويقال أيضا إنه اول ما دون من المصنفات المبوبة (٥) ، وبعد أن حفظ عبد الرزاق واستوعب ما قدر له بدأ يروى ويعلم ويجمع ويدون ، وملاّت سمعته الأفاق ، فهرع الى حلقة درسه طلاب نضجوا وبسورك فيهم ونفع الله بهم من امثال الامام ابن حنبل ويحيى بن سعيد والبخارى وغيرهم ، حتى قيل فى شأنه : « ما رحل الناس الى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رحلوا اليه (٦) » .

ويبدو أن الامام عبد الرزاق دون كتابه « المصنف » فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة ، فقد سمعنا أن المؤلف بدأ يدرس الحديث وعمره عشرون سنة ، أى عام ١٤٦ هـ حيث

(٢) « وثقات الاعيان » .

(٣) « هدى العارفين » و « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٢١ .

(٤) « ميزان الاعتدال » للحافظ الذهبي ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ .

(٥) قيل ان ابن جريج كان أول من صنف الحديث ، وقيل بل كان معمر بن راشد وقيل الربيع ابن صبيح وقيل بل كان سعيد بن عروبة ، والواقع أن هؤلاء الحديثين ومن نسب اليه هذا الشرف من غيرهم كانوا متعاصرين ولا يدرى تماما أيهم سبق الآخر ، فقد توفي ابن جريج عام ١٥٠ هـ ، ومعمر عام ١٥٣ هـ والربيع عام ١٦٠ هـ ، وسعيد عام ١٦٧ هـ .

(٦) « وثقات الاميان » .

كان قد ولد في ١٢٦ هـ ، كما أنه توفي عام ٢١١ هـ بعد فترة عانى فيها من ذهاب البصر واعتلال الذاكرة ، ولقد روى صاحب ميزان الاعتدال (٧) أن الإمام أحمد فضله وقال في شأنه : « أتينا عبد الرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع » ، كما يروى قول البخاري عنه : « ما حدث عنه عبد الرزاق من كتاب فهو أصح » ، وعليه فالمصنف دون قبل المائتين وعبد الرزاق قوى البدن سليم البصر .

جمع الإمام عبد الرزاق كتابه ودونه وسماه « المصنف » فدل بعنوانه على أنه مرتب ومبوب على ترتيب أبواب الفقه ، فقد قسمه الى كتب ، كل كتاب منها يحتوى على عدد من الأبواب يزيد عددها أو ينقص ، أولها كتاب الطهارة محتويا على ١٣٦ بابا ، وتلاه كتاب الحيض مشتملا على خمسة وعشرين بابا ، ثم كتاب الصلاة الذي يحتوى على نحو ثلاثمائة من الأبواب ، فكتاب الجمعة فكتاب العيدين فكتاب فضائل القرآن فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب العقيدة فكتاب الاعتكاف فكتاب المناسك فكتاب الجهاد فكتاب المغازي فكتاب أهل الكتاب فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب البيوع فكتاب الشهادات فكتاب المكاتب فكتاب

الأيمان والنذور فكتاب الولاء فكتاب الوصايا فكتاب المواهب فكتاب الصدقة فكتاب المدبر فكتاب الاشربة فكتاب العقول فكتاب الفرائض .. وهكذا .

وبينما عنى الإمام مالك صاحب « الموطأ » بعد جمعه إياه بتهذيبه وتشذيبه واختصاره ليقتصر فيه على ما رجح لديه ، يظهر أن الإمام عبد الرزاق صاحب « المصنف » تركه على حال جمعه الأول ، لذلك قد يحتوى الكتاب على الصحيح والضعيف والسليم والسقيم ، ولكنه مع ذلك موسوعة قيمة جديرة بمزيد الفحص والدراسة لتقييم ما ورد به من حيث الصحة والسلامة ، ومقارنة ما احتوى عليه بما ورد فيما أعقبه من كتب الصحاح والسنن وحصر ما اتفقت معه في روايته ، ومبلغ خلافه معها ، الى غير ذلك من نقاط البحث المفيد .

وكتاب « المصنف » رغم حسن ترتيبه وجمال تبويبه فإن مؤلفه يستطرد أحيانا فيدرج في الكتاب أبوابا قد يبدو أنها أجنبية في موضوعها عنه ، كما أنه قد يختلف أحيانا مع الترتيب الزمني ، ثم إن ترتيب الكتب التي قسم اليها الكتاب يختلف قليلا عن الترتيب المؤلف في كتب الفقه والحديث الأخرى ، فنجد مثلا يستطرد في كتاب الصلاة فيأتي بباب عن « حسن الصوت » ، ويدرج

(٧) اسناد هذا الحديث هو نفس الاسناد روى به عبد الرزاق صحيفة همام بن منبجة ، وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه والبيهقي في « السنن الكبرى » كلاهما من طريق عبد الرزاق .

ولقد حاولت عد الاحاديث المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم في « المصنف » فوجدتها تبلغ ثلاثة آلاف وبضع مئات ، اى ان عددها بين السدس والسبع من مجموع ما ورد بالكتاب كله وهو ٢١٠٣٣ من احاديث وآثار ، على انه ليست الاحاديث المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمصنف كلها متصلة الاسناد ، بل منها ما اسناده مرسل ومنها ما اسناده منقطع ومنها ما هو معضل بل ورد الابهام في بعض الاسانيد كأن يقول « عن رجل » دون تسميته ، فهذا مما ينزل بدرجة صحة الحديث حيث قد يكون هذا الراوى المجهول غير ثقة أو غير ضابط .
واليك الآن مختارات من كتاب « المصنف » يسبق كلا منها الرقم الذى يحمله فى الطبعة المشار اليها تيسيرا للرجوع اليه :

١ - فيما ورد مرفوعا متصل الاسناد نقتبس ما يلى :

٢٩٩ - عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : سمعت ابا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يتوضأ فيه » .

٣٣٠ - عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا ولغ الكلب فى

بابا عن « ذكر القنصاص » فى كتاب الجمعة ، كما نراه يفصل بين كتاب المعيدين وكتاب الجنائز بكتاب « فضائل القرآن » ، ويأتى بكتاب العقيدة عقب كتاب الصيام وقبل كتاب المناسك ، كما يأتى بكتاب البيوع بعد كتاب الجهاد والمغازى وأهل الكتاب والنكاح والطلاق ، ويأتى بباب تزويج فاطمة رضى الله عنها فى كتاب المغازى بعد الأبواب التى ذكر فيها مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته والاحداث التى تلت ذلك حتى مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن هذه أمور يسيرة لا تنقص من قيمة الكتاب وأهميته .

وكسائر المصنفات الأخرى يحتوى مصنف الامام عبد الرزاق على الاحاديث المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيرها من احاديث موقوفة ومن أقوال وفتاوى منسوبة الى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ويكثر فى « المصنف » مراسيل التابعين من أمثال عطاء وقتادة ومجاهد والزهرى وابن سيرين ويكثر من روايات معمر عن قتادة وابن جريج عن عطاء ، وكثيرا ما يقول ابن جريج : « سألت عطاء » أو « سئل عطاء » عن كذا فأجاب بكذا ، وأحيانا يزيد عبد الرزاق بعد الرواية تفسيرا لكلمة أو توضيحا لعبارة ، وقد تكون هذه الزيادة من عنده ، وقد ينسبها لأحد شيوخه ، ويستعمل عبد الرزاق فى تحمله عبارة « عن فلان » أو « أخبرنا فلان » أو « قال فلان » ، ولم يستعمل لفظ « حدثنا » .

الإناء فاغسلوه سبع مرات أولاًهن
بالترايب « (٨) .

١٩٨٤ — عبد الرزاق عن معمر
عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : والذي نفسي بيده ، لقد
هممت أن أمر فتيتي أن يستعدوا
إلى بحزم الحطب ، ثم أمر رجلاً
فيصلي بالناس ، ثم نحرق بيوتاً على
من فيها » (٩) .

٢٦٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال :
أخبرنا معمر عن أبي أسحاق عن
عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال :
« كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا قال (غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) قال : آمين » .
قال معمر : يؤمن وأن صلى
واحداً .

٩٠٣٣ — عبد الرزاق معمر عن
عاصم عن عبد الله بن سرجس قال :
رأيت عمر بن الخطاب يقبل الركن
وكان يقول : « والله انى لأقبلك وأعلم
أنك حجر وأعلم أن الله ربي ، ولكن
رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبلك فقبلتك » (١٠) .

١٠٩٥٢ — عبد الرزاق عن مالك
عن نافع عن ابن عمر « أنه طلق
امراته وهى حائض ، فسأل النبي

صلى الله عليه وسلم فأمره أن
يراجعها ويتركها حتى تطهر ثم تحيض
ثم تطهر ، ثم أن شاء أمسك بعد ،
وأن شاء طلق ، فترك التي أمر الله
أن تطلق لها النساء » (١١) .

١٢٥٩٦ — أخبرنا عبد الرزاق
قال : أخبرنا المثني بن الصباح قال :
أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن
عبد الله بن عمرو أن امرأة طلقها
زوجها وأراد أن ينتزع ولدها منها ،
فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت « يا رسول الله : حين كان
بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري
له حواء أراد أبوه أن ينتزعه مني ،
فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « أنت أحق به ما لم
تزوجي » (١٢) .

٢١٠٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق
قال : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس
قال : « كان شعر النبي صلى الله
عليه وسلم إلى أنصاف أذنيه » (١٣) .
ب) ومما رفع إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وحدث إبهام في أسناده
نسوق ما يلي :

١٨٢٣ — عبد الرزاق عن معمر
عن صاحب له عن الحكم بن عيينة
عن عبد الرحمن بن أبي ليلى « أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

(٨) رواه أحمد عن عبد الرزاق ، ورواه مسلم من طريق غيره .

(٩) ورد هذا الحديث في صحيفة همام ، ورواه كل من مسلم والبيهقي من طريق عبد الرزاق .

(١٠) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه من طريق أبي معاوية عن عاصم .

(١١) ورد هذا الحديث بالموطا ، ورواه البخاري ومسلم عن طريق مالك .

(١٢) ورد مثله في مسند أحمد وسنن أبي داود .

(١٣) هذا الحديث آخر ما ورد في كتاب (المصنف) .

صلى الله عليه وسلم دعا بنى النضير الى ان يعطوا عهداً يماهدونه عليه فأبوا ، فقاتلهم « (١٦) .

٩٤٢٧ — عبد الرزاق عن الثوري عن صاحب له عن رجل عن ابن عباس قال : « ما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم قوما الا دعاهم » (١٧) .

١٢٦٩٤ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن رجل من مزينة عن أبي هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديا زني بيهودية » (١٨) .

ج (وما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى عهده ولم يتصل سنده نسوق ما يلي :

١٨٦٤ — عبد الرزاق عن عيينة عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر الله للمؤذن مدى صوته ، ويصدقته كل رطب ويابس سمعه » (١٩) .

بلا لا أن يثوب في صلاة الفجر ولا يثوب في سواها » (١٤) .

٥٧٢١ — عبد الرزاق عن هشام ابن حسان عن حفصة بنت سيرين أن امرأة حدثتها قالت : « غزا زوجي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة ، فخرجت معه في خمس منهن ، فكنا نقوم على المرضى ، ونداوي الكلى ، وأمرنا في المعيدتين أن من لم يكن لها جلباب أن تلبسها صاحبته من جلبابها ، قالت حفصة : فقدمت علينا أم عطية الانصارية ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : نعم ، بأبي هو و أمي أمرنا أن نخرج في المعيدتين العواتق وذوات الخدور والحيض ، قالت : فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين » (١٥) .

٩٤٢٢ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « أن النبي

(١٤) في اسناد هذا الحديث يبههم معمر شيخ عبد الرزاق اسم صاحبه الذي روى عنه ، فالاسناد لذلك (منقطع) وإذا أضفنا الى ذلك ان ابن أبي ليلى لم يلق بلالا ، فيكون الحديث (مرسل) كذلك .

(١٥) وفي اسناد هذا الحديث أجهت حفصة بنت سيرين اسم المرأة التي حدثتها بالجزء الاول من الحديث وان كانت صحابية كما يبدو من سياق الحديث ، وقرراه البخاري ومسلم من طريقين آخرين .

(١٦) أبهم من هذا الاسناد اسم الصحابي كذلك .

(١٧) وأبهم في اسناد هذا اثنان : شيخ الثوري وشيخه ، فالاسناد لذلك (معضل) وان كان قد أوصل الحديث غيره عن طريق الثوري عن ابن أبي نجيع عن أبيه عن ابن عباس .

(١٨) وهنا أبهم الزهري اسم من حدثه عن أبي هريرة ، فهو لذلك (منقطع) .

(١٩) يرفع هذا الحديث عطاء وهو تابعي توفي عام ١٠٢ هـ ، وحيث سقط منه الصحابي فهو (مرسل) .

٢١١٩ — عبد الرزاق عن ابن جريج عن سليمان بن موسى قال : أنبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « صلوا المشاء بعد أن يغيب الشفق بينكم وبين نصف الليل » (٢٠) .

٧٣٠١ — عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لم تروا هلال رمضان فاستكملوا شعبان ثلاثين يوما ، وإن لم تروا هلال ثــوال فاستكملوا رمضان ثلاثين يوما » (٢٤) .
٨١٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : « بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح بالمصلى ، أو قال نحر » (٢٢) .

٨٧٤٨ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال لا أعلمه إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه » (٢٣) .

٩١٦٢ — عبد الرزاق عن ابن جريج قال : حدثت عن بصرة بن أبي بصرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس » (٢٤) .

٩٥٤٣ — عبد الرزاق عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غزوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها ، ولو قف أحدكم في الصف خير من عبادة رجل ستين سنة » (٢٥) .

٩٦٤٤ — عبد الرزاق قال : أخبرنا عن ابن سيرين قال : « كان الرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خاف نزع سلاحه فأعطى هذا وأعطي هذا من سلاحه ، وكان أسـفـفـها عليهم

(٢٠) يرفع سليمان بن موسى الحديث هنا بقوله (أنبئت) بصيغة المبني للمجهول ، وهو تابعي (٦٠ - ١١٥ هـ) فالإسناد (مرسل) .

(٢١) وهنا يرفع عطاء الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تابعي ، فالإسناد (مرسل) أيضا ، وعطاء هذا هو عطاء بن أبي رباح شيخ ابن جريج ، ولد عام ٢٧ هـ وتوفي عام ١١٧ هـ ، وسمع من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢٢) يبلغ معمر الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أتباع التابعين فسقط من الإسناد على الأقل اثنان : التابعي والصحابي فالحديث (معضل) .

(٢٣) وإسناد هذا الحديث (مرسل) ، فقتادة بن دعامة تابعي توفي عام ١١٧ هـ وحفظ عن جابر بن عبد الله المتوفى ٧٨ هـ .

(٢٤) وسقط من هذا الإسناد التابعي الذي حدث ابن جريج بالحديث ، فهو (منقطع) .

(٢٥) ويرفع هذا سيد التابعين الحسن بن يسار البصري المتوفى ١١٠ هـ ، فالإسناد (مرسل) .

الريح « (٢٦) . يعنى حتى ينكران فلا يعرفان .

١٠٦٥٨ — عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أراد فراق سودة ، فكلّمته فى ذلك فقالت : يا رسول الله ، ما بى حرص على الأزواج ، ولكن أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجا لك » (٢٧) .

د (ومما يرويه (المصنف) موقوفا على الصحابى نقتبس ما يلى :
٤٥٩ — عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن سيرين عن يحيى بن الجزار قال : « صلى ابن مسعود وعلى بطنه فرث ودم من جزر حرها ولم يتوضأ » .

١٦٠٨ — عبد الرزاق عن الثورى عن حبيب عن مقسم عن ابن عباس « أنه كان يكره أن يصلى فى كنيسة إذا كان فيها تماثيل » .

١٨٥٨ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن أبا بكر الصديق قال : « الاذان شعار الايمان » .
١٠٠٥٧ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة نكح يهودية فى زمن عمر ، فقال عمر : طلقها فانها حرة ، قال : أحرام هى ؟ قال : لا ، فلم يطلقها لقوله ، حتى إذا كان بعد ذلك طلقها .

١٢٥٩٤ — عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن عمر بن الخطاب سمع امرأة وهى تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبىه وليس بجنبى من حبيب الأعبىه فلولا الذى فوق السماوات عرشه لزرع من هذا السرير جوانبه فأصبح عمر فأرسل إليها فقال : انت القائلة كذا وكذا ؟ قالت : نعم ، قال : ولم ؟ قالت : أجهزت زوجى فى هذه البعوث ، قال : فسأل عمر حفصة : كم تصبر المرأة من زوجها ؟ قالت : ستة أشهر ، فكان عمر بعد ذلك يقفل بعوثه لستة أشهر » .

هـ (ومما نسب الى التابعين فى (المصنف) من أقوال وفتاوى نسوق الامثلة الآتية :

١٤٧٤ — عن عبد الرزاق عن أبى حنيفة عن حماد عن مجاهد (٢٨) قال : سئل عن المطر يصيب الثوب ، قال : « يصلى فيه فاذا جف فليحكه »
١٨١١ — عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : « يستقبل القبلة فى الأذان والاقامة ولا يتكلم فيهما » .

١٠١٩٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : « لا تؤكل ذبيحة الجوسى وإن ذكر الله » .

(٢٦) سقط من هذا الإسناد شيخ عبد الرزاق فهو (منقطع) ، وسقط منه الصحابى لأن مهدي بن

سيرين تابعى توفى ١١٠ هـ فهو (مرسل) أيضا أو (معضل) .

(٢٧) وهذا من بلاغات معمر أيضا ، فالإسناد (معضل) لفقد حلقين منه على الأقل .

(٢٨) هذا مجاهد بن جبر ، تابعى توفى عام ١٠٢ هـ .

١٠٢١٦ — أخبرنا عبد الرزاق
قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن
المسيب (٢٩) قال « دية المجوسى
ثمان مئة درهم » .

١٠٦٨٢ — عبد الرزاق عن معمر
عن الزهرى قال : « ترد فى النكاح
الرتقاء » .
والرتقاء : هى التى لا يقدر الرجل
عليها .

١٣٣٧١ — عبد الرزاق عن ابن
جريج قال : قلت لمطاء : « لو شهدت
ست نسوة على زنا مع الرجل ؟ قال :
لا ، الا ثلاثة رجال وامرأتان » .
و (وما ورد فى (المصنف) لمن
دون التابعين (٣٠) من اقوال وفتاوى
نسوق ما يلى :

٧٢٨٣ — قال عبد الرزاق : « وكان
معمر يكره أن يسـتـتحلف أحد
بالمصحف » .

١١٣٥٦ — عبد الرزاق عن سفيان
فى رجل قال لامراته : « أنت طالق

ثلاثا الا ثلاثا . قال : قد طلقت منه
ثلاثا ، وإذا قال : أنت طالق ثلاثا
الا اثنتين ، فهى طالق واحدة ، وإذا
قال : أنت طالق ثلاثا الا واحدة ، فهى
طالق اثنتين » .

١١٩٥٠ — عبد الرزاق عن الثورى
قال : « إذا قال الرجل للرجل :
أذهب فطلق امرأتى ثلاثا فطلقها
واحدة فهو جائز لأن الواحدة من
الثلاث ، وإن قال طلق واحدة فطلق
ثلاثا فهو خلاف ليس بشئ » .

١٣٨٢٨ — عبد الرزاق عن الثورى
فى أكل لحم الخنزير ، قال : « ليس
فيه حد ، ولا يغزر » .



وبذلك يتم الكلام على المرحلة
الثانية من مراحل تدوين الحديث ،
وهى مرحلة كتابة المصنفات ، ولى
ذلك الكلام على مرحلة تدوين
(المسند) أن شاء الله تعالى .

(٢٩) توفى سعيد بن المسيب عام ٩٣ وقيل عام ٩٤ .

(٣٠) هؤلاء الأئمة الثلاثة الذين سقنا أقوالهم من طبقة اتباع التابعين ، فمعمر بن راشد سمع من

عدد من التابعين كهمام بن منبه ، وتوفى عام ١٥٣ هـ وسفيان بن عيينة كان من تلاميذ

الزهرى وعهرو ابن دينار وتوفى عام ١٩٨ هـ ، وأما سفيان بن سعيد الثورى فقد سمع

عن الزهرى ومن غيره ، وتوفى عام ١٦١ هـ .



للأستاذ : سعيد زايد

ابن خلكان في (وفيات الأعيان) إن اسمه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ . وقال القفطي إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ووافقه في ذلك البيهقي . وقال ابن النديم في (الفهرست) إن اسمه هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان . وقال صاعد في (طبقات الأئمة) إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن نه . وقال في مكان آخر من نفس الكتاب إنه أبو نصر محمد بن نصر .

وواضح من هذا أن المؤرخين قد أجمعوا على اسمه ، وإن كانوا قد اختلفوا في ذكر نسبه واسم أبيه ، فقالوا جميعهم إن اسمه (محمد) . وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابي

لم يكن الفارابي بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل أنه قضى حياته كلها في شطاف من العيش وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى أنه كان يعمل ناطورا إبان الفترة التي ذهب فيها إلى دمشق . والشئ البارز في حياته ، هو انقطاعه للتعليم والتأليف ، ووجه للأسفار ، قضائها في حلب - إلى دمشق وإلى مصر ، وانتقل من مسقط رأسه إلى بغداد ، ومنها إلى حران ، ثم رجع إليها . .

وقد اختلف المؤرخون في نسبه ، فقال ابن أبي أصيبعة في (عيون الأنباء) أن اسمه أبو نصر محمد ابن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال

من أنه كان يلم بسبعين لسانا يدخل
فى باب الأساطير .

وتوفى الفارابى فى دمشق ،
وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن
صلى على جثمانه مع بعض خواصه
ودفن بظاهر دمشق خارج الباب
الصغير .

وقد قيل ان الفارابى — فوق كونه
مفكرا — كان شاعرا أيضا ، ونسبوا
إليه بعض الأشعار كما جاء عن ابن
خلكان وابن أبى أصيبعة . ولكن ذلك
لم يثبت علميا ، فأغلب ما نسب إليه
من شعر لا يتفق مع ما كان عليه من
منزلة علمية وخلقية .

ولكن الثابت أنه كان موسيقيا
بارعا ، فقد روى ابن خلكان فى
وفيات الأعيان (١) أن الآلة المسماة
بالقانون من وضعه ، وأنه أول من
ركبها هذا التركيب . وحكى أيضا أن
الفارابى كان ذات يوم فى مجلس
سيف الدولة بن حمدان ، فقال له
سيف الدولة : « هل لك فى أن تأكل ؟
فقال : لا ، فهل تشرب ؟ فقال : لا ،
فهل تسمع ؟ فقال : نعم . فأمر سيف
الدولة باحضار القيان ، فحضر كل
ماهر فى هذه الصناعة بأنواع
الملاهى ، فلم يحرك أحد منهم آتته ،
الا وعابه أبو نصر وقال له : أخطأت .
فقال له سيف الدولة : وهل تحسن
فى هذه الصناعة شيئا ؟ فقال : نعم .
ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها
وأخرج منها عيادانا وركبها ، ثم لعب
بها ، فضحك كل من كان فى المجلس ،
ثم فكها وركبها تركيبا آخر ، ثم ضرب
بها ، فبكى كل من كان فى المجلس ؟ ثم
فكها ، وغير تركيبها . وضرب بها
ضربا آخر ، فنام كل من فى المجلس
حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج .
ويعلق أستاذنا المرحوم الشيخ

على أنه تركى الأصل ، ولكن ابن أبى
أصيبعة ذكر أن والده كان قائد جيش ،
وهو فارسى المنتسب ، والغالب أن
أباه لم يكن من القواد الذين يشيد
بذكرهم التاريخ ، ولكن صفتى
الشجاعة والصبر قد ورثهما الفارابى
عنه إذ أنه احتمل متاعب الدرس
وشظف العيش ومشاق الأسفار .

وينسب الفارابى الى بلدة فاراب ،
ولكن صاحب الفهرست قال انه من
بلدة فارياب من أرض خراسان .
وبديهى أنه لو كان من فارياب لكان
اسمه الفاريابى لا الفارابى . وبذا
يصبح من المؤكد أنه من بلدة فاراب .

وقد ذكر ابن خلكان أن الفارابى
توفى سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما ،
وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده
بأنه كان حوالى سنة ٢٥٩ هـ . وهذا
الاستنتاج ضرورى فى هذا المجال ،
إذ أنه لم يترجم لنفسه كما صنع غيره
من مفكرى الاسلام ، وكذا لم يفعل
ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابى يهوى التنقل
والأسفار . ولكن المؤرخين لم يذكروا
شيئا عن رحلاته الا ما وقع منها بعد
أن بلغ سن الخمسين ، أضف الى ذلك
أنهم لم يذكروا لنا شيئا يروى الفلة
عن طفولته وشبابه ، بل أنهم تتبعوا
حركة أسفاره بعد أن رحل هو من
بلده الى بغداد ، وبذا تظل فى حياة
الفارابى فترة غامضة قد يجلوها
كشفا علمي .

وقد نشأ الفارابى على ثقافة لغوية
دينية ، فقد أقبل على العلوم الاسلامية
من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم
اللغة العربية والتركية والفارسية ،
ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى
غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان

الفارابى فى مقدمته أنه الفه بناء على طلب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى . (٥) .

هذا ، وتوجد ست نسخ من هذا الكتاب مخطوطة واحدة فى لندن ، والثانية فى ميلانو ، والثالثة فى مكتبة الاسكوريال ، والرابعة فى بيروت ، كما أشار دير لانجيه ، أما النسختان الخامسة والسادسة فتوجدان فى دار الكتب المصرية ، واحدة كاملة وهى التى كتب على غلافها (كتاب الموسيقى الكبير) والأخرى ناقصة . وقد نشر هذا الكتاب أخيراً فى مصر .

ويعتبر الفارابى علم الموسيقى جزءاً من علم التعاليم ، ويقول عنه أنه العلم الذى تعرف به صناعة الألحان ، وهو قسمان : موسيقى نظرية ، وموسيقى عملية . ومن الآلات الموسيقية ما هى طبيعية مثل الحنجرة واللهاة وما فيها ، ثم الأنف ، وما هى صناعية مثل الزمير والعيدان وغيرها . وينقسم علم الموسيقى النظرى الى خمسة أجزاء : أولها البسائط التى تستعمل فى استخراج ما فى هذا العلم ، وثانيها البحث فى أصول هذه الصناعة ، وثالثها مطابقة ما تبين فى الأصول على أصناف الآلات ، ورابعها القول فى أصناف الإيقاعات الطبيعية التى هى أوزان النغم ، وخامسها البحث فى تأليف الألحان فى الجملة ، ثم تأليف الألحان الكاملة .

ونختتم كلامنا بنصين للفارابى : الأول عن معنى صناعة الموسيقى ، والثانى فى الغرض من تأليف كتاب الموسيقى الكبير .

يقول فى الأول : « نبتدىء فنلخص أولاً ، ما معنى صناعة الموسيقى ؟

مصطفى عبد الرزاق على ذلك بقوله : « ولئن كانت هذه الحكاية أدنى الى الأساطير منها الى التاريخ ، فهى تشبه أن تكون غلوا مجاوزاً لا اختراعاً صرفاً » .

وهذا حق ، فان للمعلم الثانى باعاً طويلاً فى الموسيقى ، فقد ذكر الدكتور فارمر أنه ألف كتاباً موسيقية منها : كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الإيقاعات ، وكتاب آخر بعنوان : (كلام .. فى النقلة أو فى النقرة كما يرى مستر شتاينشneider) مضافاً الى الإيقاع (وفصل عن علم الموسيقى فى كتابه (احصاء العلوم) (٢) .

وذكر ابن أبى أصيبعة أن كتب الفارابى الموسيقية هى : كتاب الموسيقى الكبير ، وقد ألفه للوزير أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، وكتاب فى احصاء الإيقاع ، وكلام فى النقلة مضافاً الى الإيقاع ، وكلام فى الموسيقى (٣) .

وكتاب الموسيقى الكبير ، إنما جاءت تسميته بهذا الاسم من عند ابن أبى أصيبعة ، وقد جراه فى ذلك الدكتور فارمر . وفى الحق أنه كتاب كبير ، ولكن اسمه الحقيقى هو (كتاب صناعة الموسيقى) كما يظهر من افتتاحيته .

وينقسم الكتاب المذكور الى قسمين : الأول فى المدخل الى صناعة الموسيقى ، (وقد ظنه البعض خطأ أنه كتاب مستقل) (٤) ويقع فى مقالتين ، والثانى فى صناعة الموسيقى ويتناول الكلام فى أصول الصناعة ، وفى الآلات المشهورة ، وفى أصناف الألحان ، وقد ذكر

فلفظ الموسيقى معناه الألحان .
واسم اللحن قد يقع على جماعة نغم
مختلفة رتبت ترتيبا محدودا . وقد
يقع أيضا على جماعة نغم الفت تأليفا
محدودا ، وقرنت بها الحروف التى
تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على
مجرى العادة فى الدلالة بها على
المعانى . وقد يقع أيضا على معان
أخر غير هذه ليس تحتاج إليها فيما
نحن بسبيله .

فالمعنى الأول من هذين ، اما أعم
من الثانى ، واما شبه مادة له . فان
الأول هو جماعة نغم تسمع من حيث
كانت ، وفى أى جسم كانت ، والثانى
هو جماعة نغم يمكن أن تقرر بها
الحروف التى تركيب منها ألفاظ دالة
على معان ، وهذه هى الأصوات
الإنسانية التى تستعمل فى الدلالة
على المعانى المعقولة ، وبها تقنع
المخاطبات .

وظاهر أن دلالات اسم اللحن على
هذين بالتقديم والتأخر « (٦) » .

ويقول فى الثانى : « واذا كانت
الأقاويل التى اشتملت على الفنون
الثلاثة التى أثبتناها فى كتابنا هذا ،
قد استوفت جميعا ما هو تابع للمبادئ
الأول الخاصة بصناعة الموسيقى
العلمية ، وذلك كان مقصودنا من أول
ما شرعنا فيها ، فلنجعل هذا الموضوع
آخر كتابنا هذا بأسره ، وهو الكتاب
الذى اشتمل على أسطوانات هذه
الصناعة ، وعلى الآلات المشهورة ،
وعلى تركيب الألحان . وكتابنا هذا
انما انتظم فى هذه الصناعة ما شأنها
خاصة أن يتبع المبادئ والأصول
الموضوعة فيها والمصادر التى
تسلمت فيها سلف .

وأما تبين حال كثير من مبادئها ،
وجل الأصول الموضوعة ، وسائر
الأشياء الخارجة المنسوبة الى هذا
العلم بغير الجهة التى أثبتت ههنا ،
فقد تقدمنا نحن ووفينا بيانها ،
ولخصناها كلها فى كتابنا الذى الفناه
فى المدخل وفى الأشياء الخارجة
المطيفة بهذا العلم ، والمنسوبة اليه
بالجهة الأخرى « (٧) » .

(١) الجزء الثانى ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) مصادر الموسيقى العربية ، تأليف فارمر ، ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٠ ، ٦٣
القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ١٣٩ ، القاهرة ١٨٨٢ م .

(٤) فارمر ، المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٥) « تقلد أبو جعفر محمد بن القاسم الجبل وديوان السواد دفعات ، وقطعة من المشرق
كبيرة ، وتقلد البصرة والاهواز مجموعة ، ثم تقلد عدة دواوين . ثم آلت حاله فى آخر عمره
الى الفقر الشديد ومات بعد سنة ٣٣٠ هـ فى منزله ببغداد » معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٥٣ ،
طبعة ليبزج ١٨٦٩ م .

(٦) كتاب الموسيقى الكبير ، مدخل الكتاب . (٧) المرجع السابق ، الفصل الأخير .

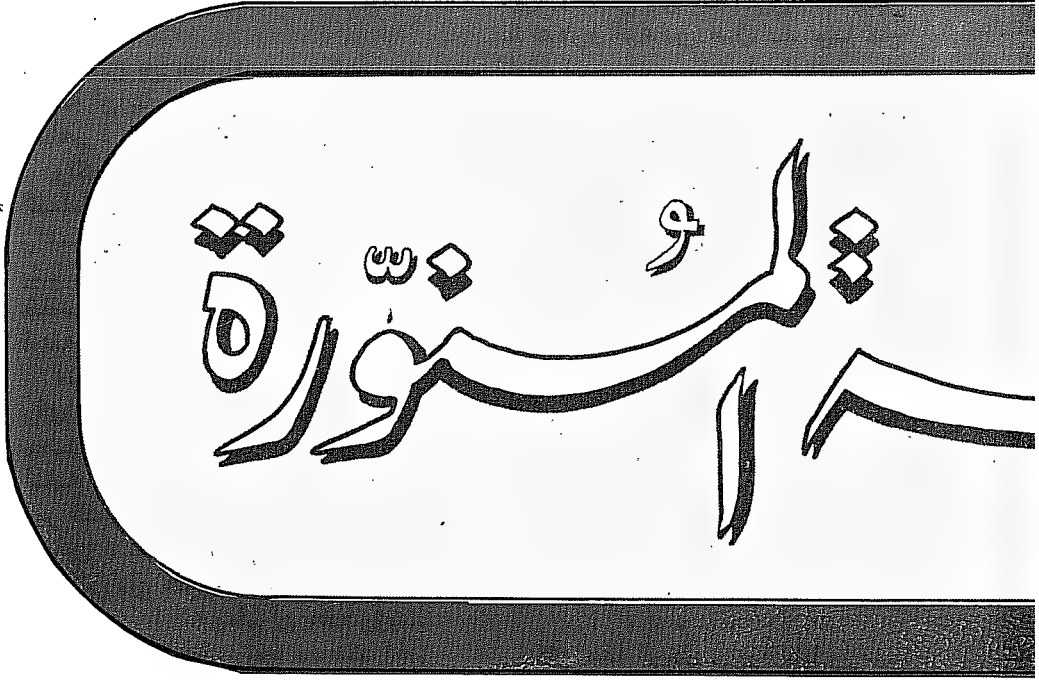
حركات في المدينه

للأستاذ : محمد لبيب البوهي

الجهاد .. وهو بذل الجهد من قوة
.. وعقيدة .. ومال في سبيل
إحقاق الحق .. وأيام الجهاد هي
الذروة في تاريخ الأمم .. قدرا
وشرفا وسعادة أنفس .. ففيها يتنسم
الناس ريح الجنة .. إذ يكونون أقرب
إلى ربهم من سائر أيامهم .

ولقد كان السلطان العادل المؤمن
نور الدين في عام ٥٥٧ هـ من الهجرة
يقوم على رأس المجاهدين من قومه
.. وكان قد أعد لكل احتمال عدته ،

كان السلطان العادل نور الدين
محمود قد نذر كل جهده وحياته
لمحاربة الصليبيين أولئك الغزاة الذين
جاءوا من الغرب يبيتون أطماعا
خبثية في أرض العرب ... وحقدا
دفعنا على الاسلام والمسلمين قاطبة
... وكانت تحذوهم اكذوبة كبرى
يعلمونها على السذج من الناس ..
ولقد هبت بلاد الاسلام من أذناها إلى
أقصاها لرد هذا البلاء الذي امتحنت
به كما يمتحن دائما المؤمنون
الصادقون .. فمن أجل هذا فرض



قادر على أن يغلب اثنين من أهل
الباطل .

• • • • •
ولقد كان السلطان العادل المؤمن
صاحب تهجد في الليل — وصاحب
أوراد في النهار — . . وكان صاحب
عدل ينشر ظلاله على الناس . وكان
مجلسه من أطيب المجالس وأكرمها . .
فما قصده صاحب حاجة الا استمع
اليه بقلب مستنير وعقل يقظان حتى
لقد شاع بين الناس . . أن الملائكة
تحف دائما بمجلس السلطان العادل

وكان الرجل مثلا في الشجاعة وبعد
النظر والصبر والثبات وحب التضحية
• • وذهب في ذلك كله مثلا يروى
للناس على مدار الاجيال . . وكان
يعلم رجاله أن هناك سلاحا لا غنى
عنه هو أقوى من كل سلاح . . ولا بد
منه قبل أي سلاح آخر في يد
الجندي . . إنه العون الذي يستمد
من اليقين . . من قوة الايمان الذي
يجعل المجاهد المؤمن قادرا على
مواجهة عشرة . . ومهما اشتد
بصاحبه الضعف فهو في الحد الأدنى

حزب الدين في المنصورة

نور الدين بن محمود .. وكان ممن عاداته أن يتلطف دائما بأصحابه حين يلقاهم .

ولكن جاءت فترة من الزمن كان السلطان يبدو فيها مشغول البال .. راغبا في العزلة قليل الكلام .. ولم يشأ نور الدين أن يكشف أحدا من خاصته بما يهمه حتى تزداد الأمور في ذهنه تبيانا وإشراقا ..

فقد حدث من بضع ليال مضت أن رأى في المنام .. نبي الهدى والرحمة محمدا عليه صلوات الله وهو ينهض أمامه في حلة من نور .. فيأخذ بيد نور الدين .. يشير بأصبعه الكريمة إلى رجلين أشرقرين ويقول له : أدركنى وأنقذنى من هذين .. وكان الذى يهم السلطان .. أنه يعلم أن هذه رؤيا صادقة ما فى ذلك ريب .. فقد أخبر الهادى البشير أن من يراه فى النوم فقد رآه حقا لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بشخصه الكريم .. إذ لا يمكن للظلام أن يلبس ثوب النور .

لقد ايقن السلطان أنه رأى النبي العظيم فى هذا المنام حقا — ولقد رآه فى منامه من قبل كثيرا .. رآه يوم فكر فى الخروج للجهاد .. ورآه فى بداية كل جولة من جولات الجهاد وفى أعقابها .. وأنه لشرف عظيم كان يبدو به سعيدا مستبشرا بقرير العين إذ يرفع الله إلى هذه المكانة .. فيريه فى منامه أشرف خلق الله طرا .. ولكن لماذا يبدو النبي الكريم فى هذه الرؤيا حزينا مهموما ..؟ وما شأن هذين الرجلين الأشرقرين ..؟ ومن هما ..؟ وما هو ذلك الائم الكبير الذى يهمان به ويريد محمد العظيم أن يندبه لدفعه ..؟

مضت الأيام تباعا والسلطان المؤمن العادل نور الدين بن محمود موزع النفس بين هذه الرؤيا .. وبين ما تدعوه إليه من عمل .. وما كان له أن ينسى فى خضم أعباء الجهاد رؤيا رأى فيها رسول الله .. ولم يكذب يمشى على ذلك أسبوع حتى رأى نفس الرؤيا مرة أخرى .. فنهض وأعاد الوضوء والصلاة ثم حاول بعد طول تسبيح وتفكر أن يلتبس ساعة من نعاس فإذا بنفسه الرؤيا تعاوده .. ولما نهض مستيقظا مرة أخرى بدا له أنه يرى بعين اليقظة الرسول الكريم ممسكا بيده وهو يشير إلى نفس الرجلين الأشرقرين .. أدركنى وأنقذنى من هذين ..

عندئذ دبر السلطان أمرا .. أنه لا يستطيع وما ينبغي له أن يكتفم ما رأى فأسرع على الفور فى طلب جمال الدين الموصلى .

كان هذا الرجل وزيرا تقيا ورعا .. وما كان لسلطان تقى ورع إلا أن يتخذ وزيرا على شاكلته .. لم يكن ضوء النهار قد انبج بعد .. ولكن الرجل أسرع من فوره ليلبى هذا الأمر الذى جاءه فى غير وقت معتاد .. وما أن أشرف فى مقدمه على القصر .. حتى رأى الشرفة الكبرى مضاءة ووجد الحاجب يدعوه إلى لقاء السلطان على الفور .

وما أن استمع الوزير إلى رؤيا السلطان حتى استغرق فى تفكير عميق .. هذه رؤيا صادقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. فمن رأى المصطفى فى منامه فقد رآه يقينا .. ولكن ما هذا الشيء العجيب الذى تنبئ به الرؤيا ..؟ لقد حار الرجل فى تأويلها وإدراك ما ترمى إليه .

فلما طال سكوت الوزير .. أوجس السلطان خيفة وظن فى الرؤيا نذيرا

له فقال : يا جمال الدين .. المهدي بك الصدق والوفاء .. وانك لصاحب علم ونظر في الأمور .. ماذا ترى في هذه الرؤيا .. ؟

قال الوزير في أناة وتدبر : مولاى .. ما من ريب أن هناك شيئاً لا يرضاه الرسول العظيم .. وأن كيدا ما يدبر في الخفاء .. وأن المصطفى عليه صلوات المولى وتسليماته يندبك لدفع هذا البلاء .. قال السلطان : ولكن ماذا ترانى فاعلا ؟

قال الوزير : ما يليق بك أن تقعد بعد اليوم دون أن تسمى الى صاحب هذه الرؤيا ...

ان الراى عندى ان ترحل الى المدينة المنورة بأنواره حيث مقامه الكريم .. وهناك سوف تكون قريبا منه .. عسى أن تزدد الأمور ازاء هذا التجرد وضوحا وتبيانا .

قال السلطان مستبشرا وقد اشرق وجهه بنور اليقين : هو ذاك يا جمال الدين .. أعد للرحلة عدتها من مال ورجال وما تقترب به من هدى الى بلد الرسول وأهله الأكرمين .

قال الوزير : ومتى يرى مولاى أن نبدأ المسير .. ؟

قال السلطان : اليوم يا جمال الدين .. فلا وجه ولا مبرر لتأخير ..

أعلن السلطان أمر خروجه مسافرا الى بلد الرسول .. واستبشر الناس بذلك كثيرا .. غير أنه كتم أمر الرؤيا فلم يطلع عليها أحدا غير وزيره .. ولقد أوصاه بالكتمان .. فان كتمان السر من أفضل ما تعالج به الأمور . واجتمع الناس حول السلطان التقى الورع يودعونه . ويسألونه صالح الدعوات في روضة الرسول الكريم .

وخرج السلطان مع وزيره في عشرين من خاصة حرسه ورجاله .. وقد قدروا أن يقطعوا الطريق الى المدينة في اسبوعين .. على أن يحطوا الرجال في بعض مناطق المسير التماسا لبعض راحتهم وراحة الدواب .. وللاجتماع بأهل هذه البقاع .. والاستماع الى ما يهمهم من شئون حياتهم .. فما يليق بالسلطان العادل أن يمر ببعض رعيته مروراً عابراً .. في فرصة لا تتكرر كثيرا على مدار الاعوام .

وكان السلطان ما ينفك في كل ساعات نهاره عن التفكير في هذه الرؤيا .. ولقد استقرت في وجدانه صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين اثار اليهما المصطفى في المنام .. لقد كانت الصورة في خياله واضحة تماما .. فهو يعرف لون شعرها ... وملامح وجهيهما .. وطريقتيهما في المشي والحوار .. ولقد أوتى حظا من القدرة على الرسم لخط صورتها على الورق .

• • • • •

وكان الركب السلطاني حين يحط في أية مرحلة .. يسارع أهلها الى تحية السلطان الذي سبقه اليهم انباء عدله .. وكان خطباؤهم وشعراؤهم يتبارون في الاشادة بسجاياه في هذه الاحفال التي كانت تقام لتكريمه .. ولقد كان السلطان يحاول ان يلم شتات فكره للاستماع الى هذه الكلمات .. غير ان فكره كان يبرحه ويذهب عنه دائما بعيدا .. انه ما يكاد يتخذ مجلسه بين الناس حتى تلم به صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين رآهما في المنام .. ويخيل اليه أنها يتحدثانه . وأنها يتجسدان أمامه بروخان بين القوم ويجئان وكأنهما يفيضان .. من أجل هذا كان صدره يضيق بالمكان ..

حَدَّثَ الْمَدِينَةَ فَلَمْ تَحْزَنْ

ويود أن ينطلق إلى الرحاب الواسعة للتنفيس عن نفسه .. فما أن ينتهى الحفل حتى يبرح السلطان خيمته ويضرب وحيدا إلا من أفكاره فى البيداء على غير هدى .. وكان بعض رجاله يتابعونه من بعيد لحراسته .. دون أن يعكروا عليه فكره .. ويستمر السلطان مصعدا فى التلال متابعاً صورة هذين الأشقرين الملمونين .. وكأنه يطاردهما ولكن ما زال فى حيرة من أمرهما .. وفى أمر الشر الذى يدبرانه .. لا يخفف عنه إلا احساسه بهذا الشرف الذى اسبغه عليه سيد الرسل حين ندبه فى الرؤيا الصادقة لهذه المهمة .. ولكن كيف يتسنى له أن يعرفهما ... وأن يعرف هذا الشر الذى يدبرانه .. كان السلطان يبدو دائماً مسترسلاً فى هذه الأفكار .. وكان حراسه يتهايمسون عما يفعلون حين يرونه قد قطع فى مسيره المستوحد شوطاً بعيداً وأن أحدا منهم لا يجسر فى الحديث اليه كى يعود ادراجه قبل أن يتقدم الليل .. فأسرعوا إلى وزيره ليدبر الأمر .. وجاء جمال الدين .. وسار إلى جوار السلطان هادئاً ساكناً لا يريد أن يبدأ الحديث .. حتى أحس به السلطان فاستيقظ من شروده وعاد يتلطف إلى الوزير .. ويصطنع الابتسام .. وعاد معه من حيث جاء .

• • • •

وصل الركب السلطاني المهيب مشارف المدينة .. وأسرع السلطان فى طلب وزيره ليسأله عما يلزم من الآداب التى يستقبل بها مدينة الرسول العظيم .. فانه لكل مجال آدابه ..

قال الوزير : فليفتسل مولاي السلطان وليطهر .. وليصلين ركعتي التحية فى هذا المسجد القائم فى مدخل المدينة .. مسجد قباء .. على مسيرة زهاء ميلين منها .. وهو أول مكان نزل فيه محمد عليه صلوات الله قبيل دخوله المدينة .

فعل السلطان ما أشار به الوزير . ثم سار الركب إلى الحرم النبوي ... ووقف السلطان فى الروضة مسلماً فى ادب وخشوع على صاحبها .. ولم يكن الرجل بقادر على أن يمسك دمه الذى انههر فى جلال الموقف .. لقد وقف صامتا عاجز اللسان عن الكلام وترك المجال لقلبه ليستقبل أنوار الهداية .. وكانت تتردد فى خفايا القلب دعوات صامته إلى رب الأرض والسماوات .. ورب محمد .. ورب كل شيء كى يكشف الله عن بصيرته هذه المهمة التى ندبه من أجلها رسول الله ثم تراجع السلطان خطوات .. وراح يصلى ما طابت له الصلاة .. وما أن سلم عن يمين وعن شمال .. حتى خيل اليه أنه يرى رسول الله أمامه فى المحراب يمد اليه يمينه الشريفة ... فأسرع وتقدم كى يقبل اليد الكريمة . وكان وزيره على القرب منه .. فراح يضرب يديه أسفاً وهو لا يرى حوله غير الجبال وقد ظن الظنون بما أصاب عقل السلطان الرشيد الحكيم ..

• • • •

كان السلطان ما يزال يكتم سره فلم يطلع عليه أحداً غير وزيره .. ولكنه تحدث إلى والى المدينة فقال : إنه يريد أن يصفح بيده كل رجل .. وكل شاب .. وكل فتى ممن يقيمون فى المدينة .. سواء كانوا من أهلها أو من زوارها .. انه يريد أن يراهم أجمعين وأن يصفحهم فرداً فرداً لا يتأخر ولا يتخلف منهم أحد ..

أخذ والى المدينة ينشر هذا على الناس . . وفرح القوم بهذه الفرصة المباركة التى اتاحت لهم للقاء السلطان العادل المجاهد الذى اشرقت أنوار أمجاده فى الاتفاق .
وتزاحم الناس . وأخذوا يتدافعون أفواجا . . ولكن الوزير جمال الدين تحدث الى والى المدينة كى يجعل لقاء الناس بالسلطان بتخطيط واعداد ونظام . . وكان الوزير يدير فى نفسه أن السلطان يريد أن يتمن فى كل شخص وهو يصافحه . . حتى لا يفوته احد من المقيمين بالمدينة . . عساه أن يكشف بينهم عن هذين الأشقرين اللذين طلب اليه رسول الله فى الرؤيا أن يدركه ويفيئه منهما .

. . . .

قام الوالى بوضع خريطة للمدينة . وقام رجاله بتحديد طرقاتها وبيوتها . . وحصر الناس فيها . . وحددوا لأصحابها من الرجال والشباب الموعد المضروب للقاء السلطان نور الدين العظيم .
وكان السلطان يلقاهم فردا فردا . يصافحهم ويهش اليهم . ويتحدث الى بعضهم ويسألهم عما يهمهم . . ويأمر كل يوم بالصدقات لذوى الحاجة منهم .
فراة المدينة أياما وليالى مشرقة مضيئة وكان الناس فى كل مكان يلهبون بالنصر للسلطان وهم يتذكرون أعماله . . وأخذ الشباب والصبيان يقلدونهم لحبهم اياه فى حركاته وسكناته ، وفرح أهلهم بذلك كثيرا .

أما الشئ الذى لم يدركه احد . . فهو انه كان يتفرس طويلا فى وجه كل من يصافحه عساه أن يجد بينهم أحدا من هذين الأشقرين الملعونين . . ولكن الأيام تمر . والسلطان لم يقع على بغيته . . حتى انتهى عرض كل

أهل المدينة والمقيمين فيها عليه . دون أن يتحقق له الأمر الذى كان ينشده .
صاق صدر السلطان العادل نور الدين . . وركبه الهم . . وقام فى روضة الحرم المحمدى باكيا . خاشعا مصليا . . رافعا يديه الى السماء فى ابتهاج حار عميق كى يكشف الله له عن حقيقة الأمر فى هذه الرؤيا . . وكان السلطان يقضى الساعات الطوال فى ركوعه وسجوده وبكائه . ومن خلفه كان الوالى والوزير يضربون أيديهم أسفا لما اصاب السلطان الرشيد .

اتجه السلطان الى والى المدينة وقال : هل أنت على يقين تام انه لم يبق أحد من أهل المدينة لم أصافحه ؟ . قال الوالى : لقد جئنا بكل شاب وكل رجل من أهلها . . لقد كان الناس يتزاحمون على بابك وكل منهم سعيد بهذه الفرصة . فلم يتخلف أحد .
قال السلطان لوالى المدينة : ابحث هذا الأمر مرة أخرى وتدبره . . وذهب الوالى يرسل العسس . . وجاء من يذكره بأمر هذين الرجلين الكريمين من رجال التصوف والحكمة اللذين اعتزلا الناس بعد أن جاء الى المدينة من نحو عام وقاما بتوزيع الأموال والصدقات ثم اعتزلا الناس زهدا وعبادة وما كاد الوالى يتحدث الى السلطان عنهما معددا مناقبهما . . وأفضالهما . . وكرمهما . . حتى أبدى السلطان رغبته فى السلام عليهما والتبرك بهما عسى أن يسألها الدعاء ليكشف الله عنه هذه الغمة .

. . . .

وجىء بالرجلين . . وما كاد نور الدين يراها حتى بهت . . وتراجع الى الوراء وراح يمسح عينيه . . حتى لا يكون بصره قد خدعه . . ولقد كاد لولا الوقار ان يصرخ صرخة ينشق

حارث المريضة المستورة

تحتة فانكشف له امر عجيب .. لقد انكشف المكان تحت البساط الرائع عن نفق محفور يمتد تحت الارض هيقا لا يتسع لأكثر من رجل واحد .. ويمتد النفق عبر الطريق حتى يكاد يصل الى قبر النبي الكريم العظيم . لقد اصيب السلطان بما يشبه الصرع .. وفارقه وقاره .. وارسل في طلب الرجلين وأمر بضربهما ضربا مبرحا مميتا حتى اعترفا بانهما رجلان من اليهود . وانهما قد كلفا من قومهما بسرقة جثمان النبي محمد من قبره .. حتى يكون للمسلمين من وراء ذلك ذل وعار وانهما واصلا الحفر حتى اوشكا ان يصلا الى القبر الشريف .

• • • •

أمر السلطان ان يحفر حول الروضة من جميع اقطارها الأربع حتى يصل الحفر الى المساء دون أن يقترب من القبر الكريم أو يكشف شيء منه . ثم أمر ان يصب حول الحجرة النبوية حائط سميك من الرصاص لا يبلى بمرور الزمن ولا يصل اليه أحد أبدا ورأى السلطان النبي العظيم يضمه اليه ويبعته .. وعاد السلطان قرير العين راضيا وودعه اهل المدينة خير وداع .

وقد عرفوا شيئا جديدا من كيد اليهود .. وحقدتهم على رسول الله وعلى كل مقدسات الاسلام .

أما السلطان فقد بدا في طريق العودة وكأنه يسمع لأول مرة ما توعدهم به الله في محكم كتابه : (وأذ تاذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) . فقال في نفسه : صدق الله العظيم جزاء وفاقا لما جبلوا عليه من القدر والاجرام .

لها صدره .. لقد رأى الرجلين على نفس الصورة التي بدت له في الرؤيا . وارسل السلطان الى كل مكان في المدينة من يتحرى له أمرهما .. فجاءت الأنباة تؤكد ما أجمع عليه الناس من صلاحهما وتقواهما وحبهما للعزلة وللعبادة .. قال السلطان : أريد أن أزرورهما في بيتهما . ولما زارهما السلطان ازداد قناعة بأنهما على خير ما يبدو على الناس من حب الخير والبر . وازدادت مع ذلك حيرة السلطان في الأمر .. وقد عرف انها لشدة حبهما لرسول الله قد اتخذا بيتا يواجه القبر الشريف لا يفصله عنه غير الطريق .. وبدت للسلطان فكرة أن يفتش السدار وأن يبحث كل شبر من أرضها وجدرانها عساه يقع على بيعة جديدة قبل أن يترك المدينة .

ودبر والى المدينة اقامة حفل في جهة أحد .. على مسيرة بضعة أميال من المدينة . وذهب بنفسه الى الرجلين الصالحين الأشقرين يدعوها الى هذا الحفل الذي سيقام تكريما للسلطان . ولما ذهب الرجلان الى الحفل تأخر السلطان وذهب بصحبة وزيره جمال الدين الى بيت الرجلين .. وراحا يفحصان كل شبر من الأرض وكل جدار . وكان المكان مفعما بالصحف المنشورة والآيات المعلقة في براويز الذهب والفضة .. وهم السلطان أن يبرج المكان حيران لا يدري من أمره شيئا .. غير أنه عندما هم بالخروج . رأى البساط الفاخر الملاصق للجدار يهبط تحت قدمه .. فأوحى اليه ذلك أن يرفع البساط وأن يعالج الأرض من



الفتح الذي وحّد الجزيرة العربية

للأستاذ : محمد رجب حنفي

يعدّ صلح « الحديبية » الذي عقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين « قريش » في أواخر السنة السادسة الهجرية أول مفتاح من مفاتيح هذا المعقل العتيق ، فقد أعلنت « قريش » في ذلك الصلح اعترافها بأن الرسول الكريم صاحب دين جديد ، وأنه لا مانع من أن توقع معه عهداً يستقر السلم بمقتضاه بينهما ، بعد عجزها العجز التام في القضاء عليه وعلى دعوته ، وبعد أن باءت جميع محاولاتها التي بذلتها في سبيل ذلك بالفشل .

لقد ظلت أعواماً طويلاً لا تعترف بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما جاء به ، فدينه يخالف دينها وعقائدها ، وتقاليدها وتقاليد آبائها وما توارثته عن أجدادها ، وهو قد قلب أوضاعها رأساً على عقب ولكنها ظلت على كبريائها وتعاضمها تفتري على الرسول صلى الله عليه وسلم الأكاذيب ، وتنعت به تشاء من الأوصاف التي تشوه سمعته ودعوته بين العرب ، فلما عجزت بكل وسائلها في القضاء عليه وعلى دعوته ، لم تر إلا أن تنزله منها منزلة الند من الند ، وأن تصالحه ولو إلى حين حتى تضمن أن تعيش معه في سلام .

ثم كانت عمرة القضاء فى العام التالى لصلح « الحديبية »
 المفتاح الثانى من مفاتيح هذا المعقل ، فقد كان مظهر المسلمين فى
 هذه العمرة وهم فى تواضعهم وتواضعهم ، وفى حسن انقيادهم ودقة
 نظامهم ، وفى اثباتهم وتضامنهم ، وفى صدق محبتهم وإخلاصهم
 لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، وفى قوة حماسهم لدينهم وشدة
 تمسكهم بأدابه وتعاليمه ، وفى بالغ تقديسهم للبيت الحرام وتعظيم
 حرمة ، وفى كل ما يؤدونه من شئائر هذه العمرة ، كان لمظهر
 المسلمين فى كل هذا أكبر الأثر فى هز نفوس أهل « مكة » هزا عنيفا
 وفى لمس مكان العقيدة من قلوبهم ، فأخذوا ينظرون إلى المسلمين
 نظرة الإعجاب والتعظيم والإكبار ، وينظرون إلى الاسلام نظرة التفكير
 والتأمل والتدبر ، ويوازنون بين هذا الدين وبين ما هم عليه من عقيدة
 لا يقرها عقل ، وتقاليد لا يقبلها المنطق ، ويقارنون بين عبادة
 المسلمين التى تمتاز بالروحانية والخضوع لله عز وجل ، وبين عبادتهم
 التى لا تستند إلى شئ ، وليس لها أساس تقوم عليه ، ويدخلها
 الكثير من اللغو والخرافات .

وعندما آمنوا النظر فى كل ما شاهدوه ، رأوا الفرق الكبير
 والمسافة البعيدة بين دينهم ودين الرسول صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه ، فرقت له قلوبهم واستمعدت ، واستراحت نفوسهم
 وتهيأت ، فأسلم الذين استطاعوا الجهر بالإسلام ، وأسرى الآخرون
 من المستضعفين اعتناقهم لهذا الدين ، وكان الكثير منهم قد تهيا
 بنفسه وقلبه لأن يسلم ولكن منعتهم ظروف حائلة ، ومصالح مستعجلة
 مدة من الزمن ، فكل ذلك أحدث تخللا فى دين أهل « مكة » الوثنى
 أثناء عمرة القضاء ، وكان هذا من الأسباب التى هياها الله لفتح
 « مكة » .

نقض الصلح :

وشاءت إرادة الله عز وجل أن تزول بقية العقبات من طريق
 فتح « مكة » ، فكان ما حدث فى السنة الثامنة من الهجرة ، من نقض
 « قريش » لصلح « الحديبية » .

لقد كانت هناك خصومات ومشاحنات قديمة بين قبيلتى
 « خزاعة » و « بنى بكر » من أيام الجاهلية ، ولكن نار العداوة بينهما
 خمدت بعد صلح « الحديبية » ، لدخول « خزاعة » فى عهد الرسول
 صلى الله عليه وسلم ، ودخول « بنى بكر » فى عهد « قريش » ،
 فحل الأمان والسلم محل الحرب بين القبيلتين ، ولكن حادثا طرا
 جعل الحرب تشتعل نارا من جديد بينهما ، ذلك أن أحد أفراد قبيلة
 « بنى بكر » وقف ذات يوم يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم

على مسمع من رجل خزاعي ، فثارت ثائرتة وقام إليه وضربه ، فأعلنت قبيلة « بنى بكر » الحرب على خزاعة ، وأخذت تتأهب للانتقام ، وحرضهم على ذلك جماعة من « قريش » ، منهم عكرمة بن أبي جهل ، وبعض سادات « قريش » ، وأمدوهم بالسلاح . وفي ذات ليلة كانت « خزاعة » على ماء لها يسمى « الوتير » ففاجأتها قبيلة « بنى بكر » ومن معها من « قريش » ، فلجأت « خزاعة » إلى الحرم تحتمي به ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة « بنى بكر » من مقاتلتها في المسجد الحرام ، فاستنصرت « خزاعة » برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب وفد منهم إلى « المدينة » ، وعلى رأسه زعيمهم عمرو بن سالم ، وأخبروا الرسول الكريم بما كان من أمر هذا الفدر الذي اشتركت فيه « قريش » ، وكان مما قاله زعيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

**يا رب إني ناثق محمدًا حلف أبيه وأبيننا الأثقا
قد كنتم ولدا وكنا ولدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدًا
فأنصر رسول الله نصرًا أبدًا وادع عباد الله يأتوا مددًا**

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، وفي رواية : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصربه نفسي » ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بنى بكر غضبا لم أره غضبه منذ زمان » ، ثم قال الرسول الكريم لعمرو بن سالم وأصحابه : « أرجعوا وتفرقوا في الأودية » ، فرجعوا وتفرقوا ، وكان عددهم أربعين راكبا ، وقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بتفرقتهم إخفاء مجيئهم ، ورأى الرسول الكريم أن الوقت قد حان لفتح « مكة » ، فأخذ يستعد لهذا الفتح .

سفارة أبي سفيان إلى المدينة :

وقدّر الرسول صلى الله عليه وسلم أن « قريشا » ستدرك سوء ما صنعت ، وأنها ستُرسل إليه من يقوم بإصلاح ما أفسده الفدر بينها وبينه ، فقال لأصحابه : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ في العقد ويزيد في المدة » . وحدث ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد رأت

« قريش » أن تتدارك الأمر ، وأن تزيل ما تركته زيارة الوفد الخزاعي لـ « المدينة » من أثر في نفوس المسلمين ، فانتدبت أبا سفيان مفوضاً من قبلها لزيارة « المدينة » ، وللسعى لحل الخلاف سلمياً ، ولإبقاء عهد « الحديبية » نافذاً محترماً ، ويمدّ في مدته إذا أمكن ذلك ، فقد ذاق « قريش » بواسطته طعم الهدوء والراحة بعد أن حرمت منها أعواماً طويلاً ، فعكفت على العناية بتجاريتها ومصالحها الاقتصادية ، ووصل أبو سفيان إلى « المدينة » ، وقصد أول ما قصد منزل ابنته أم حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لشموره بخطورة المهمة المكلف بالقيام بها ، فأثر ألا يذهب إلى الرسول الكريم رأساً قبل أن يمهّد الطريق لمقابلته .

وعندما أراد أبو سفيان الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فاندھش من هذا التصرف وسألهما : أرغبت به عن الفراش أم رغبت بالفراش عنه ؟ فأجابته بأنه فراش الرسول الكريم ولا يجدر بالمشرّكين من أمثاله الجلوس عليه ، فوقع هذا الكلام على نفس أبي سفيان وقعا اليأس ، فلم يكن يتوقع هذا من ابنته أقرب الناس إليه ، وخرج من عندها مصدوماً ، حزين النفس جريح الفؤاد ، ثم ذهب إلى المسجد فزار الرسول الكريم وكلّمه فيها جاء لأجله ، وعرض عليه أن يمدّ أجل الهدنة ، واعتذر عما حدث من قبيلة « بنى بكر » لقبيلة « خزاعة » ، فأعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه وأبى أن يجيبه أو أن يناقشه ، فكانت هذه الصدمة أنكى وأمر من الأولى ، فخرج من المسجد وهو أشد ما يكون ذلاً وانكساراً وذهب يستشفع بأصحاب رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه — فرفض معذراً في لطف ، فتوجه إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فأغلظ له في الرد ، وقال له في جفاء : « أنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » ، فخرج من عنده إلى علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — ، وكلّمه كلاماً رقيقاً ليثارة عاطفته ، فقال له : « يا علي : إنك أمسى القوم بي رحماً ، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي » ، فأجابه معذراً ، وفشلت بذلك سفارة أبي سفيان .

الاستعداد لفتح مكة :

أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عقب سفر أبي سفيان أمرا بالتمبئة العامة ، وأشار بأن تكون سرية ، وأرسل إلى البدو ومن حولهم من الأعراب ليحضروا رمضان بـ « المدينة » ، فاستجابات القبائل لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدفقت على « المدينة » وعسكرت بآرياضها ، ولشدة حرصه على ألا يريق دما بـ « مكة » أخفى وجهته عن المسلمين ، وأمر بوضع حراس على أبواب الطرق ومداخل البلاد يحرسونها ، ويردون عنها من لا يعرفونه ، فلا يغفلت أحد ولا يصل إلى « قريش » خبر .

وبعد أن اكتمل جمع المسلمين أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى « مكة » ، وأمرهم بالتهيؤ والاستعداد ، وسأل الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار على « قريش » ، فلا تعلم بتحركه حتى يفاجئها في بلادها .

خطا غير مقصود :

وبينما الجيش على أهبة السير إلى « مكة » كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى « قريش » يخبرهم فيه بما اعتزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستأجر امرأة من « مزينة » تدعى سارة ، وأعطاه الكتاب وأمرها أن تتلطف وتحتال حتى تبلغه إلى « قريش » فأخذت سارة الكتاب وأخفته ، واستطاعت أن تخرج به من « المدينة » واتجهت في طريقها إلى « مكة » ، وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما فعل حاطب ، فأرسل في إثر سارة على بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فادركاها في الطريق واستخرجا منها الكتاب ، وأحضراه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعا الرسول الكريم حاطبا وأطلعه على الكتاب الذي أرسله ، ثم قال له : « ما حملك على هذا ؟ » ، فأيقن حاطب أنه هالك لا محالة ، وأنه لا نجاة له إلا بإخبار الرسول الكريم عن الدافع الذي دفعه إلى ارتكاب هذا العمل ، فقال : « يا رسول الله : لا تعجل عليّ ، فوالله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت أمرا ليس في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين — ممن له أهل أو مال بمكة — لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت — إذ فانتني النسب

فى قرىش — ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله
ارتدادا عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإيمان .
ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى لهجة حاطب امارات
الصدق وسلامة النية فيما أقدم عليه ، فقال لمن حوله : « أما إنه قد
صدقكم فيما أخبركم به » ، وقد عفا عنه الرسول الكريم نظرا لتاريخه
وماضيه المشرف فى الدفاع عن حرمة الإسلام .

مسيرة الجيش :

استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفارى
رضى الله عنه على « المدينة » نائبا عنه ، وخرج منها فى عدد من
المهاجرين والأنصار والوافدين على « المدينة » من القبائل يبلغ نحو
عشرة آلاف مقاتل ، فى اليوم الثامن من شهر رمضان من السنة
الثامنة للهجرة ، وتحرك هذا الجيش الضخم المنظم ، الموحد القيادة
والغاية ، عبر الصحراء الواسعة قاصدا « مكة » ، وسار يطوى
الفيافي والقفار والمسلمون صائمون ، وهم جد حريصين على كتمان
أمرهم وإخفاء خبر مسيرهم حتى وصلوا إلى « مر الظهران » ،
فاستقر الجيش فيه وضرب مخيمه استعدادا للعمل العظيم الذى
ينتظره ، ولما كان وصول المسلمين إلى هذا المكان فى المساء ، فقد
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بأشغال النيران فى
مواضع نزولهم ، فأشعلوا عشرة آلاف شعلة بعدد أفرادهم ، فبدأ
نورها ساطعا يضيء ظلام الصحراء ، ويتألأ فى فضائها الواسع
حتى جعل ليلا نهارا .

وغمَّ على زعماء « قرىش » أمر المسلمين ، وانقطعت أخبارهم
عنهم ، ولما كانوا واثقين من أنهم لن يتركوهم وأنهم سينتقمون منهم
لاعتدائهم على قبيلة « خزاعة » ، فقد أطلقهم عديم معرفتهم ما يدبر
فى « المدينة » .

وغادر أبو سفيان « مكة » فى نفس الليلة التى نزل فيها
المسلمون « مر الظهران » ، ومعه حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ،
ليتسقطوا أخبار المسلمين ، فشاهدوا النار التى أشعلها المسلمون ،
واسترعت نظر أبى سفيان ، وتوقع بديل أن تكون هذه النيران نيران
« خزاعة » ، ولكن أبى سفيان استبعد ذلك ، لأن « خزاعة » فى نظره
أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وهذا عسكرها .

وكان العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج بأولاده مهاجرا إلى « المدينة » لينضم إلى ابن أخيه ، فالتقى به نسي الطريق ، فبعث بأهله إلى « المدينة » ورجع مع الرسول الكريم ، وقد كان هذا اللقاء بين الرسول الكريم وعمه مصادفة مباركة حقن الله عز وجل بها الدماء ، ويسر الأمور ، وذلّل بها الصعاب في طريق الفتح على مكان يحب ويرجو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخشى العباس على أهل « مكة » من نتائج هذه الحملة المباغتة ، فأخذ يفكر فيما سيعترب لو حدثت مقاومة من « قريش » لجيش المسلمين ، حتما ستكون هناك خسائر في الأرواح ، ورأى الدمار وشيك الوقوع بساحة « قريش » ، فراود الأمل نفسه في أن يهديه الله حيلة يمنع بها الكوارث التي تكاد أن تحل بهم ، فركب بطفة الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج من معسكر المسلمين قاصدا « مكة » ليخبر « قريشا » بالجيش الضخم الذي جاء لقتالهما ، فيؤثر بذلك في معنوياتها ويضطرها إلى التسليم بدون قتال ، فتحقق بذلك دماؤها ، وتنجو من معركة ليست في صالحها على الإطلاق ، فسمع وهو في طريقه إلى « مكة » حديث أبي سفيان مع صاحبيه ، فناداه العباس وطلب منه أن يركب معه ليأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه له فوافق أبو سفيان على طلب العباس ، فأرذقه وراءه ورد صاحبيه إلى « مكة » وسار به حتى وصل إلى خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأثناه وأسرع به إلى داخل الخيمة ،

إسلام أبي سفيان :

وفي الصباح جىء بأبي سفيان إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسمع من كبراء المهاجرين والأَنْصار قال له الرسول الكريم : « ويحك أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال أبو سفيان : « ما أحلمك وأوصلك » ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ما أغنى عنى شيئا » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » ، فقال أبو سفيان : « أما هذه فوالله إن في النفس منها الآن شيئا » ، فتدخل العباس وقال له : « ويحك . أسلم قبل أن تضرب عنقك » ، فأسلم .

وطلب العباس من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لأبي سفيان شيئا لأنه يحب الفخر ، فأعلن الرسول الكريم أن من دخل

دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

رجوع أبي سفيان إلى مكة :

عاد أبو سفيان إلى « مكة » مبهورا مذعورا ، وهو يشمر أن من ورائه إعصارا مدمرا إذا انطلق اجتاحت « قريشا » وقضى عليها القضاء المبرم ، وشاهد أهل « مكة » القوات الإسلامية تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد استقر رأيهم على قرار حاسم ، فاجتمعوا بسادتهم ينتظرون منهم الرأي الأخير ، فإذا بصوت أبي سفيان يرتفع مجلسا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى « قريشا » بها لا قبل لها به ، وأنه من الخير لهم أن يستسلموا بدون قتال ، ثم أعلن أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت زوجته هند وجذبتة من لحيته وقالت : « اقتلوا هذا الشيخ الاحمق ، تبخ من طليعة القوم » ، فلم يكثر أبو سفيان بما صنعتته وقالته وقال : « ويلكم ! لا تفرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاعكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، غردوا عليه بقولهم : « قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ » ، فأكمل : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ، ففرقوا مذعورين إلى بيوتهم وإلى المسجد .

تطويق مكة ودخولها :

وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى « ذي طوى » ، واقترب من أبواب « مكة » فرّق الجنود والقادة على مداخلها وأحاط بها من كل جانب ، ثم أمر الزبير بن العوام أن يدخل « مكة » من جهة الشمال بمن معه من الجنود ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل بفرقته من الانتصار من الغرب ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل بفرقته من الجنوب ، وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يدخل بفرقته من المهاجرين من الشمال الشرقي من جبل « هند » ، وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مؤخرة الجيش .

ودخلت القوات الإسلامية « مكة » بلا مقاومة تذكر ، والرسول القائد على ناقته « القصواء » في غير تكبر ولا تجبر ولا خيلاء ، بل في تواضع وخشوع لله عز وجل ، وهو يذكر يوم أن خرج مع صاحبه مهاجرا ، وأكب الرسول صلى الله عليه وسلم على رحل ناقته حتى كاد رأسه الشريف يلمس وسط الراحلة ، شاكرا الله عز وجل على ما تفضل به عليه من هذا الفتح العظيم ، وما من به عليه من هذه النعمة الجليلة .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى الكعبة وبصحبته المسلمون ، فاستلم الركن بعصا كانت في يده وكبّر ، فكبر المسلمون بتكبيره حتى ارتجت لتكبيرهم أرجاء « مكة » ، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم أن اسكتوا ، ثم أخذ يطوف بالبيت وهو على ناقته ، وفي كل مرة من طوافه يستلم الحجر الأسود بعصاه إلى أن استكمل الطواف ، وبعد أن فرغ من طوافه نزل من على ناقته ثم سار إلى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام فصلى فيه ركعتين ، ثم اتجه إلى زمزم فشرب منها وتوضأ ، والمسلمون من حوله كل منهم يود أن يأخذ ماء وضوئه ، وجعلوا يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون ويتعجبون لما يرون ويقولون : « ما رأينا ملكا أبلغ من هذا ولا سمعنا به » .

ثم جلس الرسول صلى الله عليه وسلم في جانب المسجد ، وأبو بكر الصديق واقف وراءه متقلدا سيفه ، ودعا عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة ، فدخل وصلى بهاركتين ، ثم وقف على باب الكعبة وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، نصر عهده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم ألقى خطبة طويلة بّين فيها الكثير من مبادئ الإسلام ، ثم قال : « يا معشر قريش : إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ، ثم قرأ قوله عز وجل : « يا أيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون انى فاعل بكم ؟ » ، وقالوا : « خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم » ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أتولّون أقال أخى يوسف : لا تزريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وقد كان من اثر هذه السياسة الرشيدة الحميدة أن كسب الرسول صلى الله عليه وسلم قلوب أهل « مكة » ، فأقبل على الإسلام فتيان « قريش » وشيوخها ونساؤها ، ولم يحجم عنه إلا البعض من الذين أكل الحقد قلوبهم وملا البعض نفوسهم ، ثم لم يلبثوا طويلا حتى دخلوا في الدين الجديد بعد أن شرح الله عز وجل صدورهم للإسلام وصاروا من حماة الدين ومن خير المدافعين عنه .

هدم الأصنام :

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » يوم الفتح وعلى الكعبة ٣٦٠ صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامه بالرصاص ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بقضيب من الحديد

واخذ يهوى به على كل صنم منها فيخرّ على وجهه والرسول الكريم يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، وأمر بكسر « هبل » وكان في داخل الكعبة ، وأحرقت ومحيت كل صورة بالكعبة وأخرجت صورة سيدنا ابراهيم عليه السلام الذي كان مصورا وفي يده الأزام يستقسم بها ، فنظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم مليا وقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيئا يستقسم بالآلام . ما شأن ابراهيم والأزام ؟ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ، وبذلك طهر البيت الحرام من الأصنام والصور .

ثم أخذ الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فكان ممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان ، وأبو قحافة والد أبي بكر الصديق ، وقد سرّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه سرورا عظيما بإسلامه .

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة الشريفة ، فانطلق صوته يدوي : الله أكبر . الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وخشعت الأبصار من كل جانب ، واتجهت الألوف إلى الكعبة حرم الله الأمن ، يستقبلونها في صلاتهم خاشعين ، فكان يوما جموعا له الناس ويوما مشهودا ،

نفاذ فتح مكة :

الواقع أن فتح « مكة » لم يكن خاتمة النضال بين المسلمين و « قريش » وحدهما ، وقد امتد واحدا وعشرين عاما تقريبا ، ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة ، وثمانية بعدها ، بل كان خاتمة النضال في جميع بلاد العرب ، ووسيلة لاتساع نطاق الإسلام وانتشاره في داخل « الجزيرة العربية » وخارجها ، فلم يطل الوقت على القبائل القاطنة في شرق « الحجاز » وكانت تلتزم سياسة الحياد في الصراع الدائر بين « مكة » و « المدينة » ، حتى أقبلت وفودها تتسابق على « المدينة » تعلن إسلامها وانضمامها إلى الدولة الجديدة بمحض رغبتها واختيارها ، وبدون ضغط أو إرهاب .

وفتحت أبواب « مكة » لدعوة الإسلام ، فانهدم حصن الشرك العتيق ، وانهار ذلك السد المنيع الذي قام في وجه الدعوة منذ قامت . ومنذ ذلك اليوم صارت « مكة » كعبة الإسلام ، وقبله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وستظل كذلك إن شاء الله إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

الفتاوى

مرض الربو

السؤال :

رجل مريض (بالربو) مرضا مزمنًا ، ووصف له دواء يخفف عنه وطأته يتماطاه من وقت لآخر وإذا توانى فى تعاطيه ، يحصل له ضرر جسمانى عظيم ، فهل يباح له الفطر ؟

الإجابة :

يجوز له الفطر شرعا فى هذه الحالة ، وعليه القضاء بعد زوال المرض ، والله أعلم .

القرحة المعوية

السؤال :

رجل أصيب بقرحة فى أمعائه ، وقرر الأطباء ، انه لا يصح ان يدع الطعام فترة تزيد على خمس ساعات ، بحيث اذا تركه فيها تعرضت حياته للخطر ، فهل يجوز له شرعا ، ان يفطر رمضان ، وهل يجوز ان يؤخر قضاء ما فاتته من صومه الى أن يتم برؤه ؟

الإجابة :

يباح شرعا لهذا المريض فطر رمضان وتأخير قضاء الصوم الواجب عليه الى أن يتم شفاؤه من مرضه ، وقد أخبر الأطباء الحاذقون أن فى جوع المصاب بهذه القرحة خطرا عظيما عليه ، وأنه لا يصح أن يدع معدته خاوية ، وأنه يلزم ألا يقل عدد اكلاته فى اليوم والليلة عن ست ، وقد رخص الله للمريض بأقل من هذا المرض فى الفطر : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) * والدين يسر لا عسر ، فإذا كمل برؤه قضى ما فاتته ، قال تعالى : (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) *

الصيام فى السويد

السؤال :

نحن مسلمون منتدبون للعمل فى بلاد السويد ، وستنظرنا هذه الاعمال الاميرية لقضاء شهر رمضان الكريم فى هذه البلاد — وكما لا يخفى فان الشمس فى بعض الشهور تشرق فى الساعة الثانية صباحا وتغرب فى العاشرة مساء تقريبا ، اى فترة غياب الشمس حوالى اربع ساعات فقط ، ونحن لسنا من اهل البلد نفسها ، وحاولت الصيام فى ٢٧ رجب و ١٥ شعبان وتعبت ، ولكن لم يفت من عزيمنى وعزيمة اخوانى ولكن رأينا أن نستشير فضيلتكم بما يتبع ، ونستفتى منكم الحكمة والمشورة الى سواء السبيل ، فمرجو الافادة عما يتبع بالصيام أو عدمه وهل فى الامكان صيام بعض الايام على قدر الامكان ؟؟ .

الاجابة :

انه يجب على المستفتى واخوانه الذين ورد ذكرهم فى السؤال الصوم ما لم يغلب على ظنهم حصول مرض بالصيام بتجربة أو اشارة أخرى فاذا غلب على ظنهم ذلك ، جاز لهم الفطر على أن يقضوا فى أيام أخر ، وليس بلازم فى قضاء ما افطروه أن يكون فى أيام متتابعة .

مريض بالسل

السؤال :

انا مريض بالسل من نحو سنتين ، ومنمنى الطبيب من الصوم منذ مرضت، فما حكم السنتين ، مع العلم بانى غير قادر على الفدية ، وهل يجوز لى أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر لأقضى ما على ، وأنا لا أزال مريضا وتحت العلاج .

الاجابة :

أما بعد فتفيد اللجنة بأن المريض الذى يتضرر بالصوم بأن يزيد مرضه بالصوم أو يتأخر برؤه منه لو صام ، لا يخلو أمره من حالتين — الأولى : أن يكون شفاؤه مرجوا — وحكمه أن له أن يفطر فى رمضان ويقضى ما قدر عليه بعد الشفاء ، ولا يجب فى القضاء التتابع ، ولا فدية عليه ، فاذا مات قبل الشفاء فليس عليه شيء — والثانية : أن يكون المريض لا يرجى شفاؤه كالشيخ الفانى الذى فُتيت قوته ويئس من رجوع قدرته على الصوم ، فلا يجب عليه الصوم ، وعليه الفدية لكل يوم نصف صاع من قمح أو قيمته ، فان لم يقدر على الفدية بأن كان معسرا لم تجب عليه ، واذا شفى المريض الذى كان لا يرجى شفاؤه وجب عليه أن يقضى ما قدر عليه من الايام .
هذا وتضرر المريض بالصوم يعرف بغلبة الظن بناء على تجربة أو اخبار طبيب يوثق به ونحو ذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله اعلم .

اعداد : عبد الحميد رياض

صورة الفلاف
للمدد ١١٥

كانت صورة الفلاف للمدد ١١٥ لشهر رجب ١٣٩٤ هـ - يوليو ١٩٧٤ صورة لقسم من المسجد الابراهيمي في مدينة الخليل الصامدة بفلسطين . وهذا القسم خاص بالقبة المحمولة على قاعدة مربعة تحملها أربعة أعمدة رخامية حول فتحة الفار الشريف يطل عليها شيخ سدنة المسجد الابراهيمي .
والى جانب هذه القبة أخذت اللقطة قسما من السدة التى يجلس عليها المبلغ يوم الجمعة .
وقد ظهرت فى الصورة ايضا صور بعض اهالى المدينة بزيتهم الخاص المتميز .
وظهرت أيضا فتحة الباب المؤدى الى حجرة ما بين مقامى خليل الله ابراهيم عليه السلام وزوجته السيدة سارة رضى الله عنها .
ويبدو أن اللقطة أخذت قبل عام ٦٧ لظهور السجاد يغطى أرض المسجد علما بان أرض المسجد قد جردت من السجاد بعد تدنيس الكفرة الفجرة لبیت الله .
وقد كتبت المجلة على جانب الصورة من الداخل عبارة (أحد المساجد الفخمة فى دمشق) ..

عبد السلام عمران أبو شخيدم
السعودية

التوبة بلا بسملة لماذا .. ؟

لماذا لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى أول سورة التوبة كبقية سور القرآن الكريم .. ؟

وهل هناك سبب لوجودها فى الترتيب بعد الإنفال ؟

محمد عبد الخالق مسعود - القاهرة

من البين أن سورة التوبة كتبت دون بسملة في مصحف سيدنا عثمان بن عفان ، وهو المصحف الامام الذي جمع في خلافته رضى الله عنه ، ووزعت منه نسخ على الامصار دون اعتراض من الصحابة ، أو انكار منهم ، فقد هذا الرضا من الصحابة اجماعا منهم ، وقبولا لوضع سورة التوبة بدون بسملة .

وفى رواية النسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قلت لعثمان رضى الله عنه ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهى من الخاتى ، والى التوبة (براءة) وهى من المؤمنين ففرقتم بينهما ، ولم تكتبوا سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموهما فى السبع الطوال فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الشئ يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ((ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا)) ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين انها منها ، فظننت انها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) .

وقد وضح من سياق الحديث السابق هذا ان التوبة قد تركت بدون بسملة ، وقرنت بالانفال ولم يفصل بينهما على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن وضع السورتين هكذا فى السبع الطوال من القرآن الكريم يؤكد انهما نزلتا منزلة واحدة واصبحتا كالسورة الواحدة ، ولذلك كانتا تدعيان بالة ينتين .

وهناك قول آخر يقول انهما سورة واحدة ، تركت بينهما فرجة ، ويقول القرطبي (انه كان من شأن العرب فى الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فاذا ارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة فلما نزلت سورة التوبة بنقض العهد الذى كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين بهت بها النبي صلى الله عليه وسلم على بن ابي طالب رضى الله عنه فقراها عليهم فى الموسم ولم يبسمل فى ذلك على ما جرت به عادتهم فى نقض العهد من ترك البسملة .

وفى رواية اخرى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : سألت على ابن ابي طالب لم لم يكتب فى التوبة (بسم الله الرحمن الرحيم) قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم امان ، والتوبة نزلت بالسيف ، فليس فيها امان . وقال الجرد لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لانها رحمة ، وبراءة نزلت سخطه أو بسخطه .

ويقول القشيري (ان سورة براءة لم تكتب فى اولها بسم الله الرحمن الرحيم لأن جبريل ما نزل بها فى هذه السورة ، وفى قول سيدنا عثمان قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها دليل على أن السورة كلها انتظمت بقوله وتبينه ، وأن براءة ضمت الى الانفال من غير عهد من النبي صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قيل تبينه ذلك ، وكانت تدعيان القريبتين فوجب أن تجمعا ، وتضم احدهما الى الأخرى ، لوصف الذى لزمهما من الاقتران ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم) .

كما أن هناك وجه شبه بين السورتين فالانفال من أول ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر ما نزل بالمدينة ، والمفعول عليه فى القول بالنزول هو أول السورة ، اذ المعلوم أن بعض السور ظل مفتوحا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تنزل الآية يقول ضعوها فى مكان كذا من السورة كذا .

هذا ما قيل حول ترك (بسم الله الرحمن الرحيم) فى أول براءة ، وبين علاقتها بالانفال .

بأقلام القراء

(شهر رمضان شهر التصفية الروحية)

ان المسلمين فى جميع بقاع الارض يحتفلون بقدوم شهر رمضان ، ويعلمون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم وحق لهم ان يحتفلوا ويبتهجوا لأنه شهر حافل بالخيرات معمور بالبركات فصومه ركن من اركان الاسلام الخمسة ودعامة من دعائم الدين التى يقوم عليها ، والله سبحانه لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا الا وله حكمة سامية وسر عجيب يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمى افكاره ورسخ ايمانه واستنار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن عن شهوتى البطن والفرج ، واذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين كان ملكا وعيدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التى يعينها الله فى قوله : **(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)** .

اله هذا شأنه يقار على عبده هذه الفيرة فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها ، **(وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ومن هذه النعم فرضه الفرائض التى يعود نفعها على العباد خاصة ، فالصوم من طبيعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التى هى علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كلدة « ان المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » قال بعض الحكماء « الدواء الذى لا داء معه الا تأكل الطعام حتى تشتهييه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهييه » ومن غير شك ان فى حفظ الجسموم حفظا لكيان الأمم والشعوب وهناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع وهى المحبة والوثام بين الناس بل وبين العبد وربّه فان الانسان عندما يشعر بالجوع وشدة الظمّ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجته لمولاه فيتواضع لبارئه الذى خلقه وسواه ويطرح رداء الكبر والعظمة فانها من صفات الله جل جلاله حيث يقول **(الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ابالى)** (١) .

واذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بانه محتاج لسواه ليعطف على الناس ويتودد اليهم واحسن من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وقتئذ اخوانا متحابين وكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم عن النعمان ابن بشير .

(١) رواه مسلم وابو داود وابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ الكبرياء ردائي الخ وبقيّة الحديث : القيته فى النار .

قيل ليوسف الصديق عليه السلام « لم تجوع وانت على خزائن الارض حفيظ ؟ قال
اخاف أن اشبع فأنسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه الى البر والاحسان ،
وشهر رمضان هو الموسم لمن اراد الربح العظيم .

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أجود الناس
بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام وكان جبريل
عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله
عليه وآله وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح
المرسلة . رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

والصوم هو الوسيلة العظمى فى تربية ملكة الصبر واحتماله المكاره ،
والصبر ملاك الفضائل .

فهو السلاح الذى يكافح به الانسان ويجاهد حتى يظفر بمناءه فى دنياه
واخراه ، وقد قيل « الصبر نصف الايمان » رواه ابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى
شعب الايمان عن ابن مسعود .

ووصى به القرآن الكريم فى التنزيل أكثر من سبعين مرة وحسبك من ذلك
قوله فى شأنه (**انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) (الزمر) .

ومن حق الصائم أن يكف جوارحه عن جميع الآثام حتى يكون صومه مقبولا ،
فيغض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والخصومة
والفحش والجفاء والسمع عن الاصغاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوى
« ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر
الشهوات وتطويع النفس الامارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله
إليه نظر قبول ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل
به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه (٢) هذا مجاز عن عدم القبول
فنفى السبب وأراد المسبب ا هـ . لأنه بترك الطعام والشراب قد أتى بجسم الله
وبفعله المحرم قد أذهب روحه . والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح

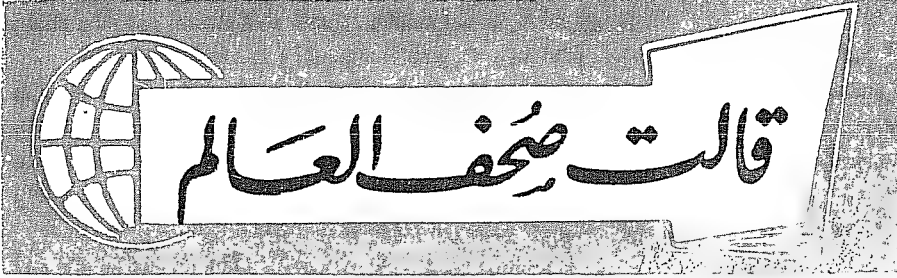
فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها انظر الى قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)
فالأغاية من فريضة الصوم هى تقوى الله لا مجرد ترك الاكل والشراب
عليه الصلاة والسلام « الصيام جنة » أى وقاية للجسم والروح من النار
والشرور .

وقد اختار الله هذا الشهر المبارك للصوم من أن عدة الشهور عند الله اثنا
عشر شهرا ، لأنه عند الله طيب مبارك فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فى شهر رمضان ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعبد فى غار حراء
فى هذا الشهر ، فهو شهر مبارك حيث ابتدأت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم الى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام فى طول البلاد وعرضها ،
وفيه نزل القرآن الكريم الذى طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق (**شهر رمضان
الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) (البقرة — ١٨٥) .
وفى هذا الشهر ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، قال الله تعالى
(**ليلة القدر خير من ألف شهر**) . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر .
سلام هى حتى مطلع الفجر) .

الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بقلقيه

(١) اخرج مسلم والنسائى عن طريق سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى
هريرة .

(٢) رواه البخارى واحمد والميزار عن أبى هريرة .



نكرى الحريق

فى حومة الصراع الدائر بيننا وبين اليهود تشكل القدس والمسجد الأقصى حجر الزاوية فى هذا الصراع ، فليست أرض فلسطين شيئاً لولا ارتباطها العقائدى عند المسلمين والنصارى واليهود على السواء ، لأنها أرض الانسواء والمعراج وبلد الانبياء والمرسلين ، ومهبط رسالة عيسى ، وموطن الاشعاع الحضارى الاسلامى عبر القرون ، من أهله تخضبت الأرض بنجيع الدم الزكى وشهدت المعارك الكبيرة والحروب العنيفة وظلت مسرحاً للأحداث الكبرى ، والصراعات المستمرة ، دهرًا بعد دهر .

وواضح مخطط اليهود الرهيب فى تهويد القدس وتحويل المسجد الأقصى الى هيكل ، ليميد ما زعم من هيكل سليمان وأوضح منه ، أن اسرائيل حكومة وتشعباً ، فرقاً وأحزاباً ، لاتدخر وسعاً فى استعمال أية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لإزالة المسجد الأقصى وتهويد القبة المقدسة ، وإزالة أى معلم حضارى إسلامى فى القدس ، فمن عبث القول أن نفيض فى بيان المخططات الرهيبة للتهويد والاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات جميعاً ، وقد أعلنتها اسرائيل وعلّمها القاصى والدانى ، وإنما الذى نقوله فى نكرى حرق الأقصى كلمة مرة مرارة الذكرى ، واضحة وضوح النار التى التهمت جدرانها .

لقد عقد ملوك المسلمين ورؤساؤهم عقب حرق الأقصى مؤتمر القمة فى الرباط ، وتبع ذلك مؤتمرات على مستوى القمة أو مستوى وزراء الخارجية ، وصدرت قرارات ، وتوصيات ، وتمت لقاءات .

ولم يكن ثمة أى تحرك فعلى لمنع التهويد باستثناء الاحتجاجات الصارخة لدى المحافل الدولية على انتهاكات اسرائيل واعتداءاتها على القدس والمقدسات . لقد حرق المسجد الأقصى ، وتمت الحفريات الأرضية بجوار جداره ، وتصدعت ابنية إسلامية تصور الطابع الحضارى للقدس ، وجرت محاولات متعددة لحرق المسجد ، وبذلك جهود يهودية ضخمة ، وقدمت اغراءات مخيفة لزعة صمود أهل القدس والقائمين على شئون المسجد الأقصى من العلماء والموظفين ، ولم تبذل أية دولة عربية أو إسلامية أى جهد مالى أو معنوى لتثبيت

اهلنا في القدس او لمنع اجراءات التهويد فيها . او حراسة المسجد الأقصى والحيلولة دون محاولات الحرق والتخريب مرة أخرى .

إن تحرير القدس والمسجد الأقصى ، وما احتل من أرض فلسطين ، امر لا بد منه ، وهو آت طال الزمن او قرب والى أن يتم التحرير السياسى للقدس واعادتها عربية إسلامية ، لا بد من مقاومة التهويد بمثل الاجراءات التى تمارسها سلطات الاحتلال ، ولا بد من الحفاظ على المقدسات ولا سيما المسجد الأقصى ، والحيلولة بينها وبين التخريب والتهويد .

وثمة وسائل متعددة ايجابية ينبغى أن تبذل لمنع التهويد والتدويل ، ولحماية المسجد الأقصى ، نذكرها في ذكرى حريق الأقصى عسى أن يفكر اخواننا في البلاد الإسلامية عامة ^{الأردنية خاصة} ، في العمل الايجابى الجاد الى جانب ما يبذل من جهد سياسى وسيفى ^{يتم} التحرير من ربقة الاحتلال الاسرائيلى البغيض .

إن المسجد الأقصى بحاجة الى ترميم وترميم ، وقد أعدت مشروعات ضخمة ، تحتاج الى مد يد العون لهذا الاعمار ، وهناك كثير من اراضى القدس يتعرض أصحابها للاغراءات والضغط لبيعها ويمكن أن تشتري وتسجل وقفا يحول دون تسربها الى اليهود او الأيدى المشبوهة ، ويحتاج ذلك الى أن يتقدم اخواننا من القادرين في البلاد الإسلامية والعربية الى إتقادها .

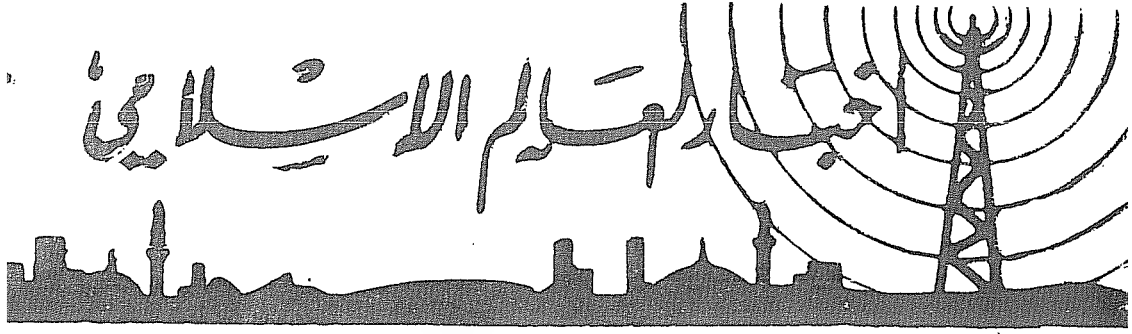
وإن ذكرى حرق المسجد الأقصى يجب أن لا تمر بدون هذا العمل الايجابى لمن أراد أن يعمل مرتفعاً فوق الخلافات والأهواء متساهلاً على النعرات والحزازات ، والمسجد الأقصى والقدس درة العالم الاسلامى ، ومهوى أفئدتهم ، ومطمح انظارهم ، ويقاؤه في أيدي الاحتلال ، ورؤيته سلباً يعتدى عليه ويعمل لإزالته ولا نقوم بأى عمل إيجابى ، يعنى الضياع ، والإثم ولعنة الله ، والأجداد على من فرط وضع .

عن مجلة (اللواء) الأردنية

ترجمة قاديانية مخرفة لمعانى القرآن الكريم

حذرت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة المنظمات الاسلامية في العالم من قيام الطائفة القاديانية باصدار ترجمات لمعانى القرآن الكريم بهدف الكيد للإسلام والتضليل لعامة المسلمين مؤكدة أن هذا العمل فيه تحريف للكلم عن مواضعه وتاويل الآيات وتاويلات باطلة ومن هذه الترجمات : الترجمة التى وضعها الضال محمد على ونشرها واتخذت منها هذه الطائفة سبيلاً الى التضليل ، وحيث أن هذه الترجمة التى زعموا أنها ترجمة لمعانى القرآن الكريم وما تلاها من الترجمات التى تصدر عنهم كلها باطلة يكذبها التفسير الصحيح للقرآن وآياته المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين وأئمة المسلمين في مختلف العصور فضلاً عما فيها من التاويلات الفاسدة التى تابها العقول السليمة وياها نظام القرآن الكريم البليغ ، والتى قصدوا بها التأييد لضلالتهم المذهبية ، لذلك قرر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامى بالاجماع بطلان هذ الترجمة للقرآن وتحذير المسلمين في سائر بلاد الاسلام وغيرها من هذه الترجمة وأمثالها .

مجلة رابطة العالم الاسلامى — مكة المكرمة



إعداد الأستاذ : فهمي الامام

● تـسـتـضـيـف وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية عددا من العلماء والوعاظ والقراء خلال شهر رمضان المبارك لالقاء محاضرات وعقد ندوات في المساجد والجمعيات الإسلامية ومراكز العلم بالإضافة الى العلماء والوعاظ العاملين بالوزارة .

● يزور الكويت خلال شهر رمضان المبارك الدكتور خورشيد أحمد لالقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام باللغة الانجليزية .

● قررت الكويت رفع قيمة تبرعها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين من ٢٢٠ ألف دولار الى ٤٠٠ ألف دولار .

● القاهرة : يقوم مجمع البحوث الإسلامية بالاعداد لمؤتمر علماء المسلمين الثامن الذي تقرر عقده في ١٥ نوفمبر القادم .

● أصدرت وزارة الاوقاف تعليماتها الى القائمين على شئون المساجد بمنع السياح الذين يرتدون الملابس القصيرة والملابس غير المحتشمة من دخول المساجد .

● الكويت : عاد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن بحفظ الله ورعايته بعد أن قضى فترة الراحة والاستجمام في ربوع لبنان الشقيق .

● يقوم سمو نائب الامير المعظم ولي العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح بزيارة للمملكة العربية السعودية ، وسيبحث في هذه الزيارة المسائل السياسية التي تهم العالم العربي والمصالح التي تهم البلدين .

● زار سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الإسلامية جمهورية الصومال ، وقد تم اثناء لقائه مع المسؤولين بحث العلاقات بين البلدين ، كما زار سيادته المناطق الصناعية والزراعية .

● ترأس سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة الدورة الحالية لمجلس جامعة الدول العربية .

العراق : وجه رئيس ديوان الاوقاف الدعوة لعدد من علماء المسلمين لحضور مؤتمر علماء الدين الاسلامى الذى سيعقد فى بغداد عقب عيد الفطر القادم . وصرح سيادته بأنه تم الاتفاق مع جامعة الأزهر على ايفاد عدد من الاساتذة للتدريس فى كلية الإمام الاعظم ببغداد ، وكذلك ايفاد عدد من الوعاظ الأزهريين للعمل بالعراق .

أخبار متفرقة

الهند : صدر العدد الجديد من مجلة صوت الاسلام الصادرة باللغة الانجليزية من كيرالا بالهند .
بريطانيا : تعكف الجالية المسلمة فى بريطانيا على بحث مشكلة التعليم المختلط الذى قررت الحكومة تطبيقه فى مدارس البنات الثانوية ، ومن المنتظر أن تخرج بقرارات فى هذا الشأن .

هولندا : سيتم بناء أول مسجد ومركز اسلامى فى مدينة امستردام خلال شهر نوفمبر القادم ، وسيضم المركز قاعة للمحاضرات وصالة للعرض ومكتبة ، وسيؤدى خدماته للمسلمين المقيمين بهولندا .

تركيا : طالب عدد من الصحف التركية باعادة الطابع الاسلامى لمسجد اياصوفيا واقامة الصلاة فيه ، وانهاء وضعه الحالى كمتحف .

النيجر : أعلن رئيس دولة النيجر أنه سيجرى قريباً انشاء جمعية اسلامية فى النيجر ، مهمتها اتخاذ الاجراءات اللازمة لاقامة جامعة اسلامية ، وتوزيع الأموال المخصصة لبناء المساجد وتنظيم الحج ، والعمل على تطبيق تعاليم الدين الاسلامى ونشر اللغة العربية . وتمثيل النيجر فى الاحتفالات والمناسبات الدينية .

● أعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مسابقة لاحسن كتاب عربى يتناول موضوعاً يتصل بالحضارة العربية ويكشف عن قيمها وأصالتها ، وقد رصدت للمسابقة جائزة قيمتها ٥٠٠ جنيه مصرى .

السعودية : ناشد الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى وزراء التربية والتعليم والمعارف فى الدول الاسلامية ضرورة العناية بتدريس القرآن الكريم فى بلادهم .

● تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين ريال لفرش المسجد الحرام بالسجادة الفاخر ، وذلك بعد أن انتهى العمل فى عمارة المسجد .

● سيتم انشاء أكبر جامع فى أفريقيا فى تشاد على حساب الملكة وتبلغ التكاليف مليون فرنك فرنسى ، ومساحة الجامع تقدر بسبعة آلاف وخمسمائة متر مربع .

ليبيا : ذكرت وكالة الأنباء العربية الليبية أن ليبيا صادقت على لوائح المصرف الاسلامى للتنمية ، وساهمت فى رأس ماله بمبلغ ٤٥ مليون دينار ليبي .

الجزيرة : تقرر عقد مؤتمر القمة العربى القادم فى ٢٦ أكتوبر بمدينة الرباط .

عمان : أقيم فى قاعة الكلية العلمية الاسلامية بعمان حفل تأبين لسماحة المرحوم الشيخ أمين الحسينى وقد حضر الحفل كبار المسؤولين وفى مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد من الأعيان .

السودان : أكد الرئيس جعفر النميرى حرص السودان على التضامن العربى والاسلامى وتحقيق الطمأنينة والرخاء والعمل الجاد على استعادة الحقوق السليبة ، وكان ذلك أثناء تسلمه أوراق اعتماد سفير المملكة العربية السعودية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الشمسية	١٤٤٤ رمضان	١٤٤٥ شعبان	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن التروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
الثلاثاء	١	١٧	٥	٤	٣٣	١١	١٢	٥٢	١٠	٧	١٣	١٠	١٨
الأربعاء	٢	١٨	٦	٥	٣٤	١٢	١٣	٥٢	٩	٨	١٤	١١	١٩
الخميس	٣	١٩	٦	٥	٣٤	١١	١٢	٥٠	٨	٧	١٥	١١	٢٠
الجمعة	٤	٢٠	٧	٥	٣٥	١٠	١١	٤٨	٦	٦	١٦	١١	٢١
السبت	٥	٢١	٧	٥	٣٥	١٠	١١	٤٧	٥	٥	١٧	١١	٢٢
الأحد	٦	٢٢	٨	٥	٣٦	٩	١٢	٤٦	٤	٤	١٨	١١	٢٣
الاثنين	٧	٢٣	٨	٥	٣٦	٩	١٢	٤٥	٣	٣	١٩	١١	٢٤
الثلاثاء	٨	٢٤	٩	٥	٣٧	٨	١٣	٤٤	٢	٢	٢٠	١١	٢٥
الأربعاء	٩	٢٥	٩	٥	٣٧	٧	١٣	٤٢	٠٠	٠	٢١	١١	٢٦
الخميس	١٠	٢٦	١٠	٥	٣٨	٦	١٤	٤١	٦	٦	٢٢	١١	٢٧
الجمعة	١١	٢٧	١١	٥	٣٨	٥	١٤	٤٠	٥٨	٥	٢٣	١١	٢٨
السبت	١٢	٢٨	١١	٥	٣٩	٤	١٥	٣٩	٥٦	٤	٢٤	١١	٢٩
الأحد	١٣	٢٩	١٢	٥	٤٠	٤	١٥	٣٩	٥٥	٣	٢٥	١١	٣٠
الاثنين	١٤	٣٠	١٢	٥	٤٠	٣	١٥	٣٨	٥٤	٣	٢٦	١١	٣١
الثلاثاء	١٥	٣١	١٣	٥	٤١	٢	١٥	٣٨	٥٣	٢	٢٧	١١	٣٢
الأربعاء	١٦	٣٢	١٣	٥	٤١	١	١٥	٣٨	٥٢	١	٢٨	١١	٣٣
الخميس	١٧	٣٣	١٤	٥	٤٢	٠	١٥	٣٧	٥٠	٠	٢٩	١١	٣٤
الجمعة	١٨	٣٤	١٤	٥	٤٢	٠	١٥	٣٧	٤٩	٠	٣٠	١١	٣٥
السبت	١٩	٣٥	١٥	٥	٤٣	٠	١٥	٣٧	٤٨	٠	٣١	١١	٣٦
الأحد	٢٠	٣٦	١٦	٥	٤٤	٠	١٥	٣٦	٤٧	٠	٣٢	١١	٣٧
الاثنين	٢١	٣٧	١٦	٥	٤٤	٠	١٥	٣٦	٤٦	٠	٣٣	١١	٣٨
الثلاثاء	٢٢	٣٨	١٧	٥	٤٥	٠	١٥	٣٦	٤٤	٠	٣٤	١١	٣٩
الأربعاء	٢٣	٣٩	١٧	٥	٤٥	٠	١٥	٣٥	٤٣	٠	٣٥	١١	٤٠
الخميس	٢٤	٤٠	١٨	٥	٤٦	٠	١٥	٣٥	٤٢	٠	٣٥	١١	٤١
الجمعة	٢٥	٤١	١٨	٥	٤٦	٠	١٥	٣٥	٤١	٠	٣٥	١١	٤٢
السبت	٢٦	٤٢	١٩	٥	٤٧	٠	١٥	٣٤	٤٠	٠	٣٤	١١	٤٣
الأحد	٢٧	٤٣	١٩	٥	٤٧	٠	١٥	٣٤	٣٩	٠	٣٤	١١	٤٤
الاثنين	٢٨	٤٤	٢٠	٥	٤٨	٠	١٥	٣٤	٣٨	٠	٣٤	١١	٤٥
الثلاثاء	٢٩	٤٥	٢٠	٥	٤٨	٠	١٥	٣٣	٣٦	٠	٣٣	١١	٤٦

أم المؤمنين السيدة صفية رضي الله عنها

صفية بنت حيي بن أخطب بن سعة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب
ابن أبي جبيب من بني النضير . وهو من سبط لاوي بن يعقوب
.. من ذرية هرون بن عمران أخى موسى عليهما السلام .
برة بنت سمؤال .

اسمها :

أمها :
اسلامها :

لما فتح المسلمون خيبر .. واستأصلوا شوكة اليهود .. كان
فى السبايا صفية هابنة عم لها .. وجاء بلال يقودها .. فأمر
الرسول صلى الله عليه وسلم بصفية فحيزت خلفه ، وألقى
عليها رداءه .. فكان ذلك اعلانا بأنه اصطفاها لنفسه .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أخذ صفية بنت حيي قال لها : هل لك فى ؟ قالت : يا رسول
الله : كنت أتمنى ذلك فى الشرك .. فكيف إذا أمكننى الله منه
فى الاسلام ؟ .. فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها ..

زواجها :

تزوجت مرتين قبل الرسول : زوجها الأول : سلام بن مشكم ،
فارس قومها وشاعرهم ، ثم تزوجها بعده : كنانة بن الربيع بن
أبى الحقيق .. وقد قتل فى فتح خيبر .. وعادت صفية مع
الرسول صلى الله عليه وسلم .. فلما كانا بالصهباء أقيمت
وليمة العرس .. وأكل الناس من طيبات خيبر .. ثم دخل
الرسول على صفية .

روايتها للحديث :

كانت رضى الله عنها راوية للحديث وروى عنها : ابن أخيها
ومولاه كنانة ، ومولاه الآخر يزيد بن متهب ، وزين العابدين
على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان .

وفاتها :

رحلت الى جوار ربها فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع مع
أمهات المؤمنين .. رضى الله عنها وأرضاها .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتغاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع مقعد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

- | | | |
|---|---|------------|
| القاهرة : | شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة. | مصر : |
| الخرطوم : | دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) . | السودان : |
| طرابلس الغرب : | دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) . | ليبيا : |
| بنغازي : | مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) . | |
| مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا . | | تونس : |
| الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي . | | المغرب : |
| بيروت : | الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) . | لبنان : |
| مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) . | | عُدن : |
| عمان : | وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) . | الأردن : |
| جدة : | مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . | |
| الرياض : | مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . | |
| الخبر : | مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . | السعودية : |
| الطائف : | مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . | |
| مكة المكرمة : | مكتبة الثقافة . | |
| المدينة المنورة : | مكتبة ومطبعة ضياء . | |
| بغداد : | وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر . | المراق : |
| المكتبة الوطنية : | شارع باب البحرين . | البحرين : |
| الدوحة : | مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) . | قطر : |
| شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) . | | أبو ظبي : |
| مطبعة دبي . | | دبي : |
| مكتبة الكويت المتحدة . | | الكويت : |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرا في هذا العدد

- ٤ حديث الشهر للشيخ رضوان البيلي
- ٦ دراسات في القصص القرآني للأستاذ عبد الكريم الخطيب
- ١٣ نقد ابن كثير للاسرائيليات للأستاذ اسماعيل سالم عبدالعال
- ١٩ غزوة بدر الكبرى للدكتور عبد الله محمود شحاته
- اليهود وتأمرهم على الرسول
صلى الله عليه وسلم للدكتور محمود محمد زيادة
- ٢٧ أثر رمضان في التعبئة العامة للأمة للأستاذ على القاضي
- ٣٢ وأما بنعمة ربك فحدث للأستاذ أحمد التاجي
- ٤٠ التأمين التجاري للدكتور عبد الناصر توفيق العطار
- ٤٤ حول ولاية الرجل على نفسه للأستاذ محمد عزة دروزة
- ٥١ مجالس الذكر اللواء محمود شيت خطاب
- ٥٩ دور الدين في الوقاية من الجريمة للدكتور أحمد على المجذوب
- ٦٣ مائدة القاري ٠٠٠ ٠٠٠
- ٧٠ نظرات في الحديث للدكتور محمد عبد الرؤوف
- ٧٢ الفارابي الموسيقي للأستاذ سعيد زايد
- ٨٢ حدث في المدينة المنورة (قصة) للأستاذ محمد لبیب البوهی
- ٨٦ فتح مكة للأستاذ محمد رجاء حنفي
- ٩٣ الفتاوى للتحريیر
- ١٠٣ البريد للأستاذ عبد الحميد رياض
- ١٠٥ بأقلام القراء للتحريیر
- ١٠٧ قالت الصحف للتحريیر
- ١٠٩ الأخبار اعداد الأستاذ فهمي الامام
- ١١١ التقويم ٠٠٠ ٠٠٠
- ١١٣ أم المؤمنين السيد صفية رضى الله عنها ٠٠٠ ٠٠٠
- ١١٤